خطوط تائهة

حنان فاروق

خطوط تائهة / قصص

حنان فاروق

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٥٢٤٢

I.S.B.N:٩-٣١-٦٢٩٧-٩٧٧-٩٧٨

خطوط تائهة

قصص

حنان فاروق

الطبعة الأولى

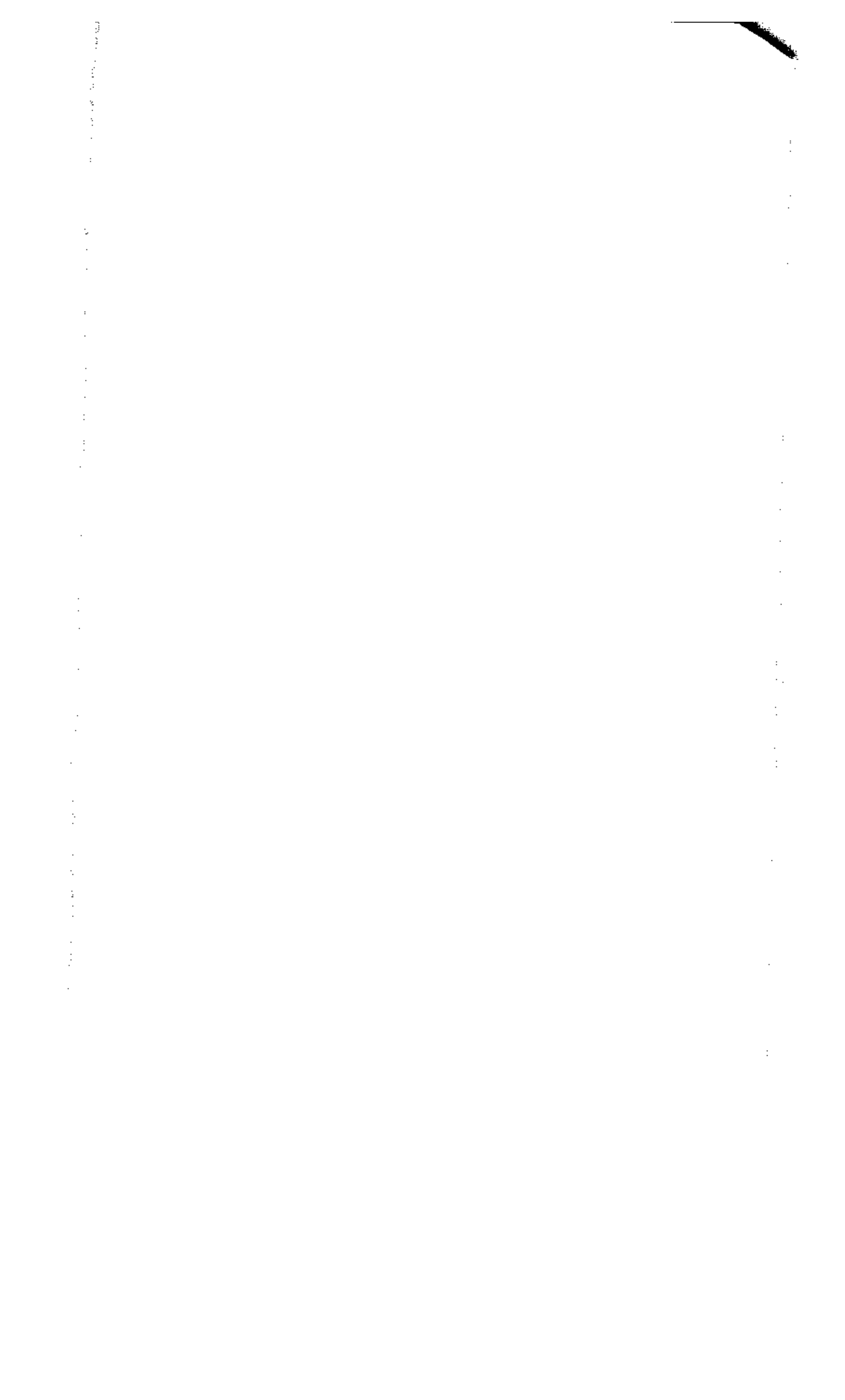
٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع



مساحات خاصة



جلسا متباعدين...نظر كل منهما في عيني الآخر يسأل من غير سؤال..وضعت هي كل مالديها من كلمات فوق منضدة الحديث علها تحرك ماء ردوده الراكد..بين الفينة والفينة كــان يرسل لها رأسه بالإيجاب..عيناه لم تغادرا وجهها منذ بـــدأت الكلام لكنه خرج عن قضبان متابعتها إلى حوار جـــانبي مـــع نفسه... لم يغادر عشقها قلبه منذ أن وقعت نظرتـــه الأولى في شباك عينيها..أخذها من مســـاحتها إلى مســـاحاته..ورغـــم أنفاسها اللاهثة التي أوشكت على التلاشي وهي تركض وراء قلمه المحلق إلا أنها في أحسن الأحوال لم تستطع إلا السير على مسافة منه..يعرف ربما أنه ليس ذنبها..يكفيها تفانيها الذي لا تجاريها فيه امرأة ممن عرفهن..أحبها دوماً فيهن ..و لم يحبـــهن أبداً فيها...إذاً ما الذي حدث؟؟ أهي قصته الأخيرة؟؟

اعترف بينه وبين نفسه أنها بالفعل مختلفة..مختلفة عن كـــل ماسبق حتى عن علاقته بشريكة عمره ..لأول مرة توضع لديه مع غيرها تحت بند من البنود وإن لم يزنها أحد..الأغرب مـــن

وجهة نظره هو ذلك التطابق العجيب بـين وجهـي عملـة قلبه...حتى في الملامح..الفارق الوحيد الذي استطاع تبينه هو أن تلك الجديدة لم تسر على مسافة من حرفه بل ساوته..منكبا حرفيهما توازيا منذ أن تعارفا في اللامكان..تلاصقا مع سبق الإصرار والترصد..استطاعت أن تحتل ما لم تستطع واحدة أن تلج بابه من قبل.. سأل نفسه مراراً : هل أحبها حقاً؟؟..حاول إقناع نفسه أنها من نسج خياله أومجرد حالة تذوب في مـداده بعض الوقت ثم تتبخر..لكن ذلك لم يحدث..رغم موج البحـر الذي يسكنها والذي ظنت هي نفسها أنه كفيل بتنفيره منـها إلى الأبد كات تعلقه بها يزداد يوماً بعد يوم.. منـذ الجلسـة الأولى بينهما حرص على أن يؤكد لها حبه وارتباطـه الوثيـق بشريكة واقعه الأولى والأخيرة.. لم تعترض..تفهمه بعمق وتترك مساحه لحريته التي يعشقها...أشد مايؤرق ارتباطه بهـا هـو جلوسها الدائم على طرف كرسي علاقتـهما علـى أهبـة الاستعداد للمغادرة.. لم تنفّذ أبداً..لكن اضطرابها طيلة الوقـت يسحب مقعد الاستقرار من تحته فيسقط على أرض الواقع..

أخرجته شريكته من أفكاره وهـي تقـدم لـه كـوب الشاي..أحضرت له ورقة وقلماً ..تفهم حتى شروده..سحبت أطفالها إلى عالمها لتطلق حرفه من قمقمه...حاول أن يفضـي للورق بما يصرخ فيه فلم يستطع... لم يكن قلمه يفيض إلا بعد

أن يجلس إلى الأخرى..ماالذى دهـــاه؟؟؟ يمقـــت القيـــود إلا قيدها..يراه حرية..أجنحة تحمله على متنها إلى عوالم لم يطأها من قبل...كوب الشاي الثاني قـــادم مـــع وقـــع خطـــوات زوجته...تضعه أمامه وتنظر فى الورقة البيضاء..ترمـــي إليـــه تساؤلاً بعينيها الشفيقتين..تعرفه حين يريد أن يكتب ويعصـــاه الحرف..تربت على كتفـــه بحنـــان وتبتعـــد علـــى أطـــراف أصابعها..تهرب ابنته من الحبس الذى فرضته عليها أمها وتأتيه تناوشه...يأخذها إلى صدره ..يضمها..يمر طيف حبيبته مـــن أمامه..ينظر فى عيني ابنته تتداخل الصور...صـــورتها وأمهـــا وحبيبته وأمه وأرضه ..تتمدد خريطة حبه فوق نبضه...

يسمع صوت زوجته تنادي ابنتهما...تتذمر الفتاة..تهمـــس في أذنها فتستجيب..قبل أن تغلـــق البـــاب ..تأخـــذ خطـــوة للوراء..تعتذر لمساحة فيه سقطت رغماً عن احتواء قلبها..




تمشيط



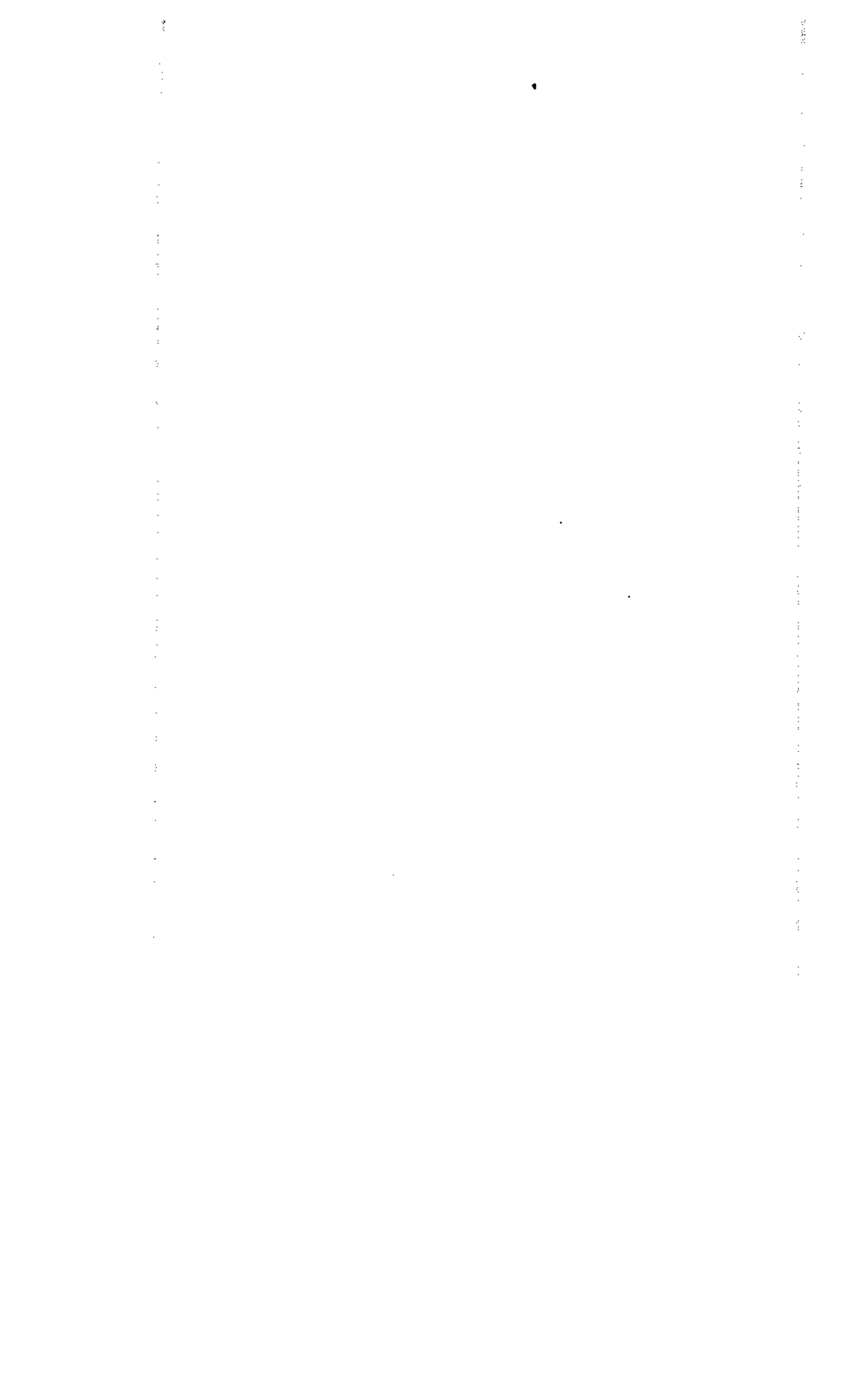
يتراقص الحلم بين أصابعي ثم يتركها متشنجة ترهقها رحلة محاولات القبض عليه دون جدوى..مددت يـــدي في جـــوال الصور المنبوذ في ركن من أركاني أبحث عما ضـــاع مـــني.. أدخلت يدي.. لم تصل إلى ما أريـــد ..اضـــطررت للـــدفع بساعدى ثم ذراعي و مـــا أن تمكـــن عمقـــه مـــني حـــتى اجتذبني..غرقت حتى أذني بين صور غـــير كاملـــة متقطعـــة ومتقاطعة الأجزاء..يأخذني فيها الضوء الخافت واللون الباهت إلى مناطق اعتقدت أنها أغلقت أبوابها منذ زمن بعيد..

غرقت فى التجوال حتى وجدتها..ضفيرة منتزعة من الجذور ملقاة بين الصور..كم مضى علي من سنوات منذ اجتثت مـــن رأسي؟؟لا أذكر..شعرت بالحنين إليها ..لم لا أعيد غرسها في مكانها ثانية؟؟ أعجبتني الفكرة..أمسكت بها..حين احتضـــنتها تملصت مني..نفضتني..قفزت من بين يدي لتصـــل إلى آخـــر مكان فى جوالي البالي..غرست نفسها في طوفـــان الخيـــالات الباهتة حتى لا ألاحقها..كنت سأتركها لحالها لـــو اســـتأذنت لكنها لم تفعل..استفزازها جعلني ألهث وراءها من كومـــة إلى

كومة..أخيراً قبضت عليها ..أحكمت قبضتي فاستسلمت..بحثت عن بصيص نور يرشدني للخروج..هاهو..أطبقت على فريستي وخرجت..لم تقاومني..حين جلست أمام المرآة هدهدتها لتطمئن إليّ..أحضرت كل مشابك الشعر التي تحتويها أدراجي..لملمت ماتبقى من شعري الرمادي الذي تناثرت خصلاته المبتورة هنا وهناك..بعد مطاردة مضنية.

أفلحت في تجميعه وراء رأسي..بدأت تثبيت الضفيرة.. وضعت المشبك الأول.. فوجئت بابنتي تقتحم الغرفة بذيل حصانها اللاهث وراءها..نظرت لضفيرتي باندهاش كأنها ترى مخلوقاً من عصور ماقبل التاريخ.. مررت كفيها الصغيرتين فوقها..اجتذبتها بنعومة من رأسي فهوى المشبك الواهن على الأرض..ضمتها فرحة ثم ذهبت تثبتها في رأس دميتها الأثيرة.. لم أحرك ساكناً..مددت يدي إلى شعري أعاود تمشيطه..

الذي لم يأت أبداً



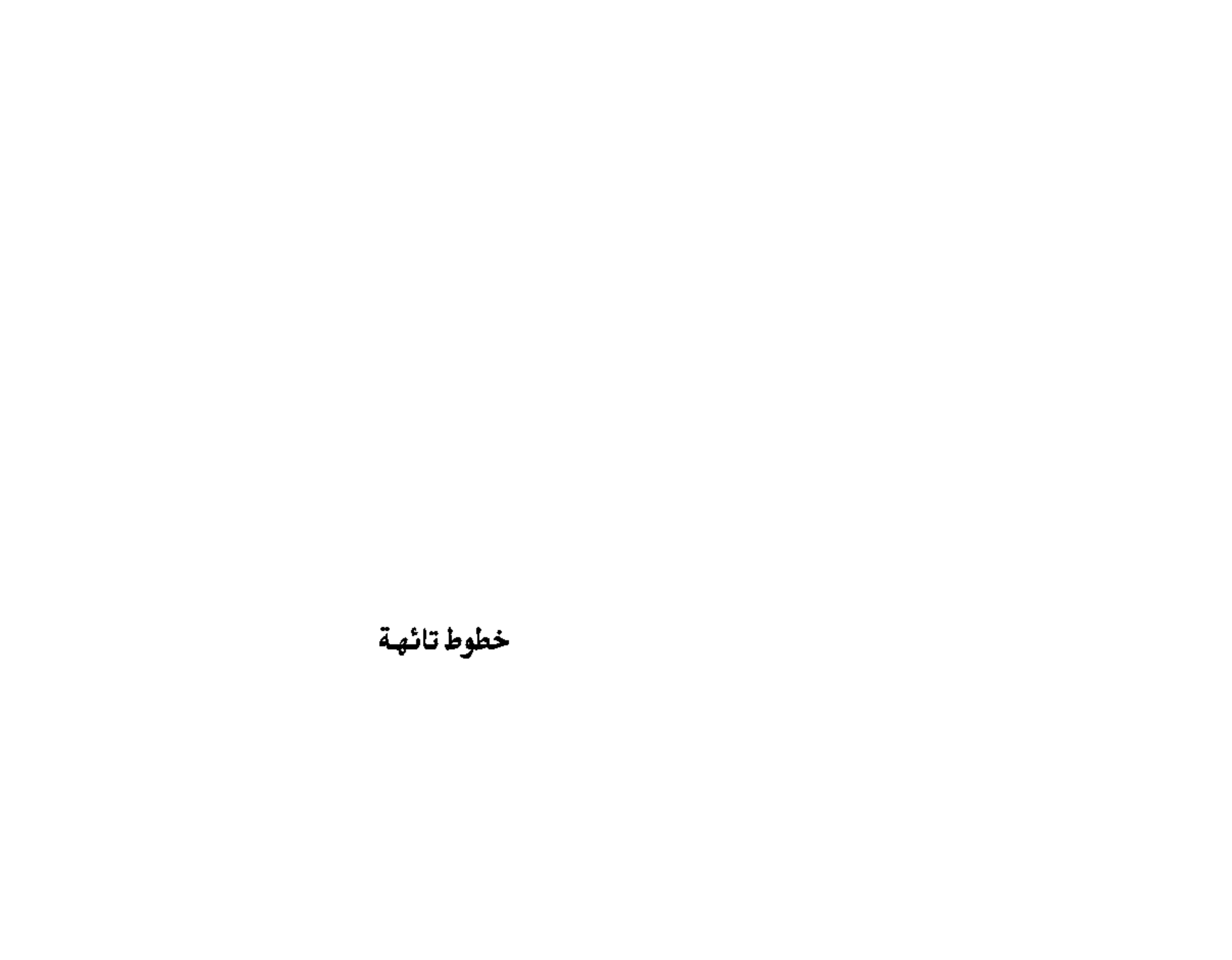
اضطرب لسانه وهو يبحث عن كلمات يرسم بها خارطـــة جديدة لعلاقتهما..حاولت أن تعلـــن ثباتهـــا أمـــام حروفـــه المهتزة..صفعات مابين سطوره كانت ترتب لما هو أبعد مـــن كلماته..انتظرت أن يلقي في وجهها قنبلته الموقوته لكنـــه في اللحظة الأخيرة أحجم..قرر أن يعطي نفسه فرصـــة لإعـــادة ترتيب أوراقه بينما نثرت هي أوراقها المكشوفة غير عابئة بمـــا تحمله من مشاعرها المهترئة..حين جلست إلى نفسها حاولـــت أن تحمّل صورتها في مرآة قلبها وتؤطرها بلحظة (تأمل)..لكن ترتيب الحروف خانها للمرة الألف وحبسها في كهف (تألم)...

تنهدت ..فانطلق مع تنهيدتها بـــاقي الصـــبر المحبـــوس في صدرها..أعليها أن تنتظر حتى يأتي موعدهما المســـائي لتضـــع قدمها على لغمه..؟؟؟..تعرفه جيداً..سيقول لها: أنت دائمـــاً تحملين الأمور أكثر مما تحتمل...ستبتسم وتوافقه وهـــي تحـــني ظهرها أكثر لتثقله بحمل جديد من عدم اكترائـــه..فجـــأة دق جرس الهاتف..أخرجها من بين هواجسها..أتاها صوت والدها الحنون يطمئن عليها..تكلم كثيراً ..حاولت أن تجاري حروفه

لكي لاتشعره بما هي فيه لكنه رغماً عنها التقط خيط عـــذابها وغزا القلق نبراته..سألها عن صحتها..اختلج صـــوته..بينمـــا فقدت هي السبيل إلى أزرار التحكم في صوتها..ناداها...ظن أن الخط ينقطع..سمعت آخر جملة قالها :

لابد أن أراك في المساء..

تكورت على نفســـها فـــوق أشـــواكها تنتظـــر موعـــد المساء..لكنه .. لم يأت أبداً..



خطوط تائهة



فتحت كفي أحاول قراءة معالمه..فقط خطوط متشـــابكة تشبه الخرائط..أبحث عن حدودي فيها فلا أصل إليهـــا.. لم أر تلك النقاط المتقطعة التي التهمت خرائطنا وعلمتنا الأسر منـــذ أن لقنونا رسمها..أيقظني ابني من تأملي وهو يحمـــل كراســـته المدرسية ويطلب مني أن أساعده في رسم خريطة للوطن ..تهت في حروف الكلمة كأني لم أفهمها...أعاد طلبه علـــيّ ثـــلاث مرات وأنا واقفة بلا حراك أنظر في عينيه نظرة تضـــيق بكـــل تساؤلاتي وتفتقر إلى دبيب إجابة ...تناولت الكراســـة منـــه وطلبت منه أن يحضر الكتاب علي ألملم فكري في أثناء رحلتـــه السريعة من حدوده إلى حدودي...عاد يحمل الكتـــاب ويجـــر قدميه ...يتناوم ليترك لي الكراسة والكتاب ويستريح من هـــم الواجبات المترلية... لم أعره التفاتاً ...وتشاغلت بالكتاب أقلب في صفحاته..سألته: أي وطن نرسم؟؟؟ لم يرد.. بـــدا وكأنـــه يحاول إتقان دوره..يترك رأسه تسقط من فوق أكتافه ثم يعيدها سيرتها الأولى كأنه يخرج من غيبوبة طارئة.... لم أحب أبـــداً

جغرافيا الخرائط تلك لكني لا أعرف لم هذه المـــرة بالـــذات استولت عليّ فكرة البحث عن وطن..فتشت داخلي عن دليل إليه لم أجد...لكزت ابني في كتفه لأخرجه من تمثيليتـــه الـــتي دخلت طور الحقيقة قبل أن يضع لها نهاية موقعة باسمه..لكنـــه كان كالمخدر...حروف متقطعة تتناثر من فمه تقف عند آخر أفكاره..(أريد رسم وطن)

ناديت أباه ...حمله بهدوء ليوصـــله إلى دفء فراشـــه... احتضنه ليشاركه حلمه وظللت وحدي خارج بوابته محتجزة بلا تأشيرة دخول ..

حين استيقظ في الصباح وجد الكتاب والكراسة على مكتبه وبجانبهما ورقة بيضاء وقلم..انتفض صارخاً: أمي .. أين رسم الوطن؟؟؟

أجبته بعينين التهمهما الأرق : ارسمه أنت.

صناديق حديدية



قذفت بنفسي داخل الصندوق الحديدي الــذى تعــود أن يحملني كل يوم عصراً إلى عملي الجديد فى المكان البعيد..آثرت أن أجلس وحدي فى المقعد الخلفي بالرغم من صعوبته واهتزازه المستمر لأجد مساحة داخلي أسبح فيها بعيداً عــن ملاحقــة حروف زميلاتي...شق طريقه بين الجبال والصحراء الجرداء إلا من بعض شجيرات حزينة الخضرة منثرة هنا وهناك ومتحديــة الصخور التى تطل منها رغماً عنها..ابتسمت..منــذ ســنوات عندما جئت إلى هنا لأول مرة انقبض قلبي أنا بنت البحر وأنــا أتعرف إلى الصحراء الجديدة على حياتي..كنت أراهــا موتــاً متمسكاً بحاله غير قادر على الحياة..لكنى الآن تغيرت.. تآلفت معها..أصبحت أرى بين رمالها وصخورها المترامية الأطــراف لغة مختلفة ونبضاً من نوع خاص..ربما لم يتغير عشقي للبحــر لكن الذى حدث أنى سمحت لتلك الصفراء أن تسكن بعــض قلبي بعد أن كنت أرفضها..بدأت أشعر بالغثيان...لم أكن قد تناولت شيئاً منذ الصباح إلا فنجاناً من القهوة التركيــة لتنبــه

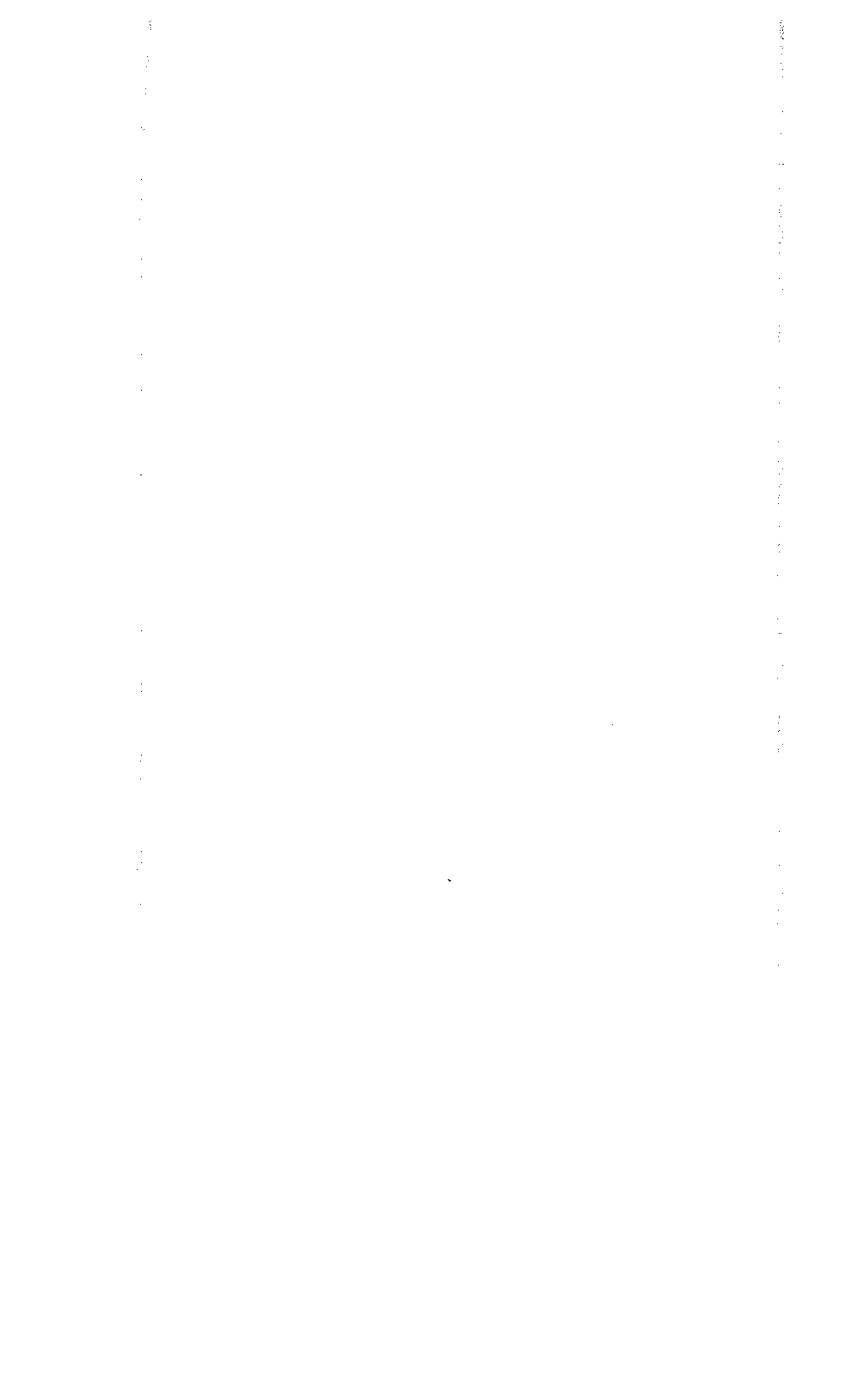
حواسي في هذه الفترة الساخنة من اليوم..دق جرس الجــوال ..كالعادة زوجي يطمئن على رحلتي.. يشــفق علــيّ منــها ويعرف أنها تلتهم من صحتي كــل يــوم قطعــة لاأســتطيع تعويضها..وصلنا إلى المركز الصحي القابع في أحضان القريــة البعيدة..تكالبت البدويات اللواتي اشتركن في برنــامج محــو الأمية علينا..كن بسيطات خفيفات الظل طاعنات في الســن يشبهن جدتي وأترابها من أهل الأمواج ..مشاكلهن الصــحية أكثر من سني عمرهن..حين نظرت في وجوههن لم أستطع أن أتخيل أن الصبا عانق تلك الوجوه قبلاً.. اختلط بتكوينهن نوع مختلف من الشقاء الذى لم يمحه التقدم و لم تلونه المدنية..بعد أن أنهيت المحاضرة التثقيفية والكشف دعتنا المعلمة لنشرب القهوة العربية معها ووالدتها التي تدرس بنفس المدرسة ..جلسنا علــى الأرض وأعدت الأم القهوة والتمر وبعض الحلــوى..تركتنــا المعلمة ودخلت الفصلين تباعاً نادت على صويحبات أمها مــن طالبات محو الأمية ليشاركننا الحفل الصغير..تكاثرت السيدات حول المأدبة المرحبة وانهالت معهن الأسئلة عني وعــن أســرتي وأبنائي..فاجأتني إحداهن بسؤالي إن كنت أجنبيــة أم لا؟؟ لم أعرف بماذا أرد عليها..تلعثمت وقفز العرق ثائراً من جبيني .. تداركت المعلمة الأمر فأجابتها بإيجــاب خفــيّ يجتهــد ألا ألمحه...ظلت الكلمة تصرخ في أذني ماتبقى من دقائق الجلسة ثم

أصرت على اصطحابي في الزنزانة المعدنيـــة الـــتي تـــنقلني إلى بيتي..أحسست بغربة تخترق كـــل مســـافاتي..خيـــل إليّ أن الشحوب الملقى على جانبيّ الطريق الطويل الذي يأبى الانتهاء يرفضني .. ينتظر خروجي منه بفارغ الصبر ليســـلم وجنتيـــه للربيع يلونهما كيف شاء..رماني الصندوق الحديدي عند باب بيتي فتدحرجت حتى الجـــرس.. رننتـــه متثاقلـــة ..فـــتح لي ولداي..لم أستطع أن أقبلهما من الإنهاك..ارتميت على الأريكة الممددة على حافة غرفتي..

بجـــانبي.. جلـــس ولـــداي يتجاذبـــان أطـــراف الحديث كعادتهما..التفت لي أكثرهما ثرثرة وسألني:

هل أهل هذا المكان من بلدنا يا أمي؟؟؟

أجبته دون أن أفكر: لا...أجانب..



تشرنق

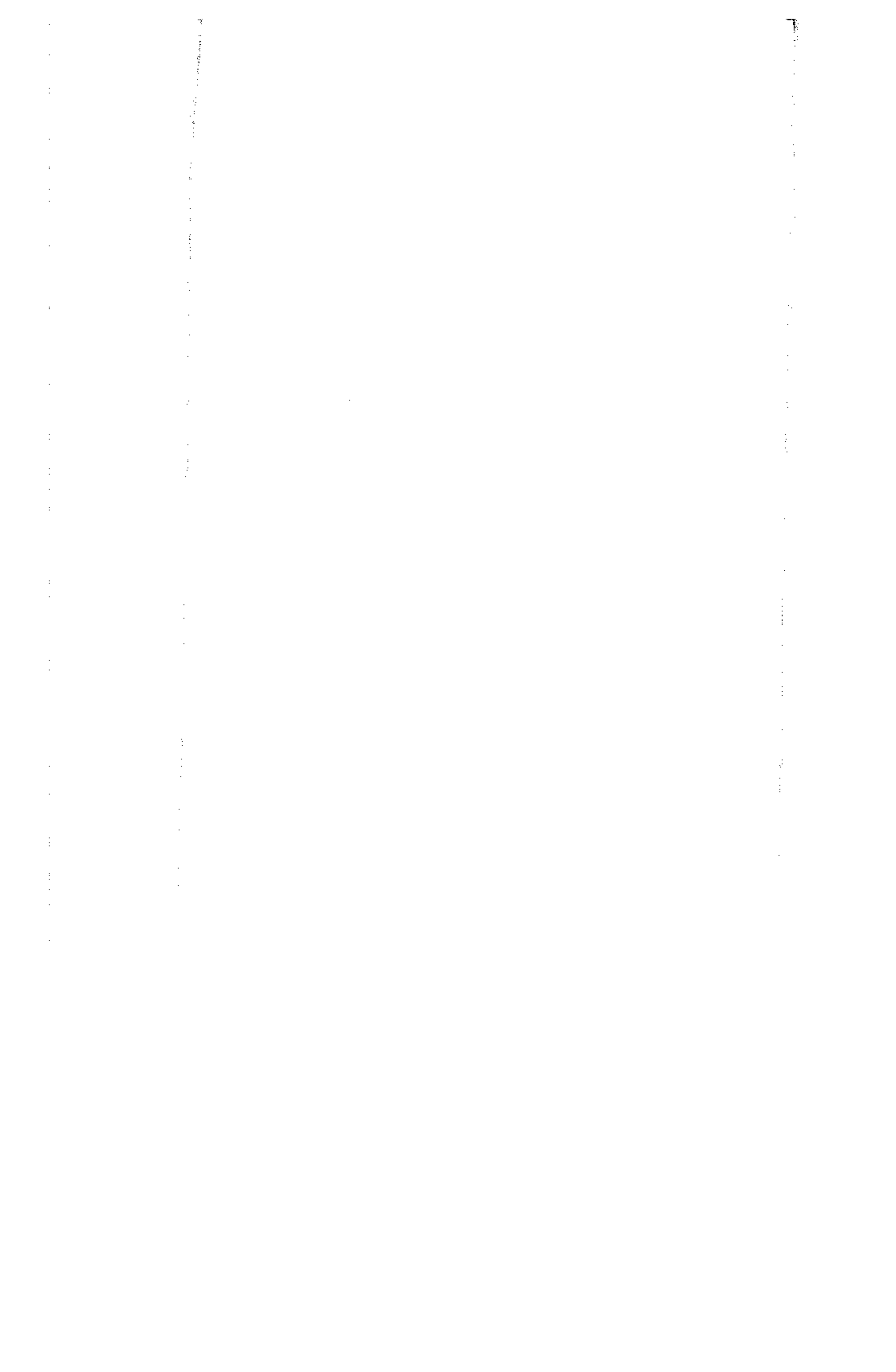


حبست نفسها في دائرة مغلقة بأربعينها التي انقضت عليها منذ شهور..تفتش مرآتها صباحاً ومساءاً عن تجاعيد جديـــدة لتثبت لنفسها أنها لم تكن على خطأ حين وقعت عقد الهجـــرة من بلاد الصبا...كل يوم يسحبها روتينها نحو فـــراغ الـــروح والأمـــل ..يقيـــدها في مقعـــد اللاعـــودة إلى أكســـجين السعادة...كل من حولها أشاروا عليها بالخروج من القوقعـــة اللعينة لكنها تعللت بـــأن ســـني عمرهـــا المـــدبرة تـــرفض ذلك...تشبثت بإصرارها حتى خـــافوا أن تقـــنعهم بقضـــباها فرحلوا وتركوها ..لماذا هي متمردة الآن على اختيارها..لمـــاذا تمزق الشرنقة التي غزلتها حول جدار قوقعتها التي تقبع داخلها خيطاً خيطاً ؟؟؟

واعدتها هذا المساء..جارتها التي مازالـــت تـــراود جمالهـــا المستخفي لتستخرجه من مكمنه..أخبرتها أن الأمر أسهل ممـــا

تتخيل وأنها لن تصنع جمالاً جديداً هي فقط ستنفض الغبار عن القديم وتجدده بأدواتها..فتحت لها الباب علـى مصـراعيه في الموعد..عاينت المجهود الذي سوف تطرحه عن كاهلها بعـد قليل لتضيء هذا المصباح المستمسك بمواته..العمل كثير ولكن النتيجة بالتأكيد ستكون مذهلة..خبيرة هي بعملها ..ستبهرها وتجتذبها إلى عالمها الذى لاتنتهي حيله..وفي النهاية هـي الـتي ستكسب وضميرها مستريح فتلك البلهاء التي تجلس أمامهـا كادت تضيع حياتها مقابل التنازل عن رتوش تكلـف حفنـة جنيهات وتغير مجرى التاريخ..بدأت عملها..زبونتها خفيفـة الظل لم تكف لحظة عن الضحك والضجيج علـى عكـس ماكانت تبديه من قبل..طفلة هي تلهو..فرحة باللعبة الجديـدة التي تكلم الجميع عنها من قبل وفرت منها ومنـهم...كلمـا أنجزت جزءاً من عملها بالغت في عرضه وتضخيمه فيقفز قلب المسكينة فرحاً ناشراً أمامها مرآة الخيال تجيبها بأنهـا الأجمـل والأروع...حين أنهت مهمتها..طلبت منها بخيلاء أن تـذهب إلى زوجها لتسأله عن رأيه ..انتظرتها واثقة من النتيجة وهـي تعد فاتورة الحساب التي لم تترك علامات الصبا الجديدة علـى وجه الدافعة فرصة لتفنيد بنودها..نفحتها أجرتها سعيدة وهـي

ترتب لها موعداً جديداً لاستكمال مـــا لم يـــتم في الجلســـة الأولى..أغلقت الباب بعد حروف ضاحكة متنـــاثرة تـــزين التوديع الحار..أعادت عد الجنيهات التي رفضت عدها بالداخل مجاملة لصاحبتها...نظرت إلى الدرج بيأس شديد من أن يحملها إنهاكها المتشعب في أركانها...فتحت باب المصعد الذى عصت إغراءاته سنوات وسنوات وألقت بنفسها داخله..تخلصت مـــن أحمالها على مدخل صالة شقتها..قذفت بنفسها على أول أريكة قابلتها..حين التقطت أنفاسها فاجأتها المـــرآة القابعـــة أمـــام مجلسها..أطلت عليها تجاعيد أربعينـــها..حاولـــت تهـــذيب خصلات شعرها المتناثرة هنا وهناك بعد أن نزعـــت غطـــاء رأسها دون اكتراث..انتفضت من صورتها المبعثـــرة ..سمعـــت صوتها المنحني يهمس بأسى: (السن له حكم)



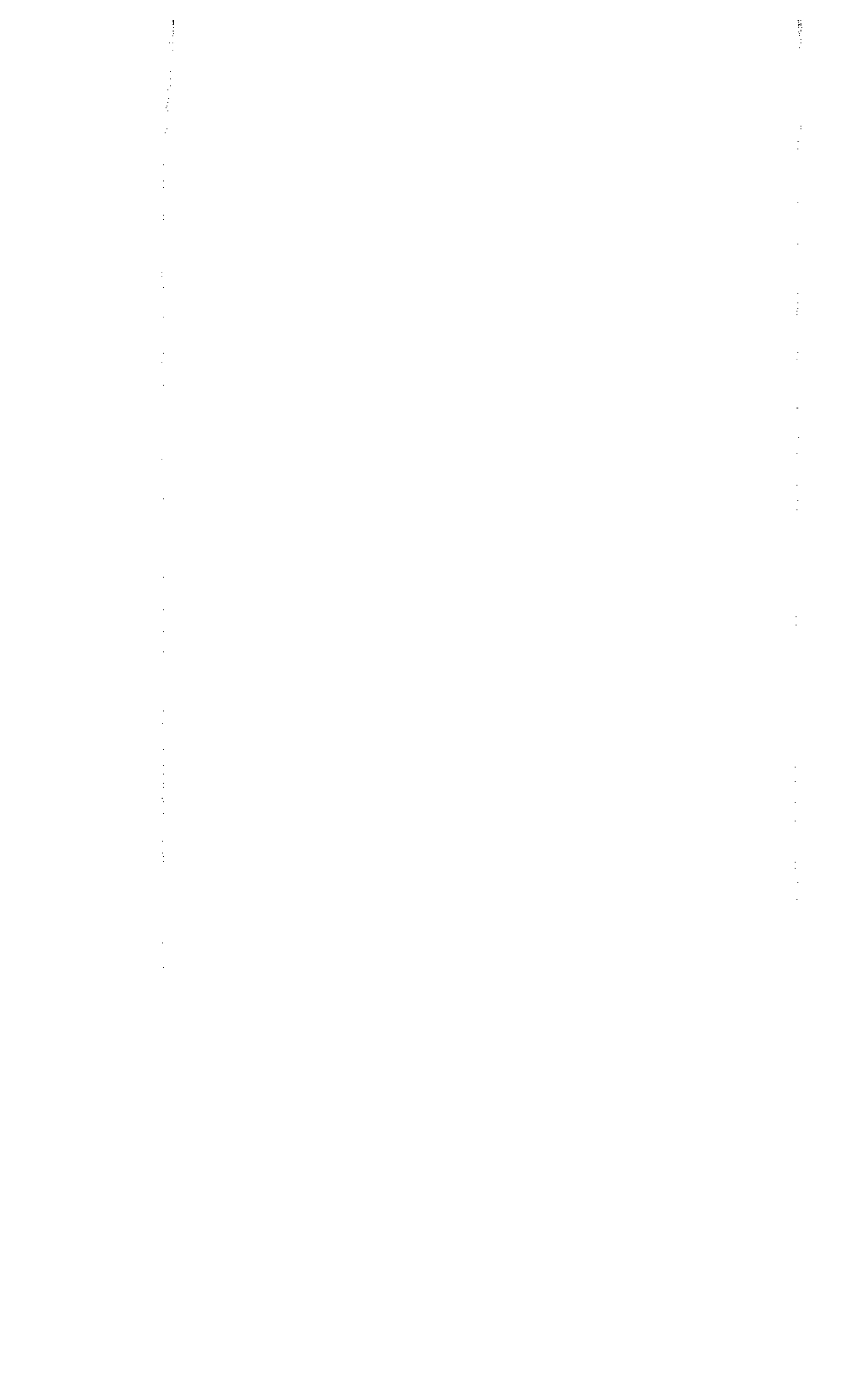

کارتون



احتل ولداي التلفاز...سلباني عمداً مـــع ســـبق الإصــــرار والترصد متعة متابعة ما أحب وقتما أحب..حتى لو أصــــررت على الاستيلاء على جهاز التحكم واستغللت سلطتي الأســـرية في فرض أحكـــامي العرفيـــة لاقتنـــاص لحظـــات مشـــاهدة قليلة..تذمرا وأعلنا العصيان المدني داخل البيت إما بالصـــياح والبكاء وإما باصطيادي داخل شبكة أسئلة يعرفـــان إجاباتهمـــا جيداً ليستفزاني ويحكما الحبل حول عنق تركيـــزي فينـــتفض ويرفع يديه بالتسليم دون قيد أو شرط..اليوم قررت أن أعقـــد معهما هدنة أول بنودها أن أعـــيش اهتماماتهمـــا..جلســـت بينهما..وبدأ السباق أحدهما يعشق كرة القدم يرتعد جســـده كله مع كل ركلة حتى ولو كانت الكرة بعيدة عـــن شـــبكة الفريق المنافس بعد المشرقين..يصرخ ..ينفعل..يعترض بمناســـبة

وبغير مناسبة..والآخر يلبس قناع الملل ثم يستدير إلى مستنجداً لأجبر الآخر على تغيير القناة الرياضية إلى أخرى كارتونية...أحسست أنهما يتقاذفانني أنا وليس جهاز التحكم..أخيراً وصلنا إلى حل..فقد اقتنع صاحب الكرة بمتابعة الكارتون وعليه فقد هدأت المباراة قليلاً..اتخذت نفس وضعيتهما أمام الشاشة..وأسلمت عقلي للكارتون على أعيش مايعيشان..أحسست أنهما تحولا إلى تمثالين أمام الفيلم ..أصبت بالدوار وأنا أرى كرات النار والمخلوقات الغريبة والوحوش القاتلة والفتيات الملونات ..نقاشات عابرة تتناثر من حنجرتيهما تمر عليّ دون أن تتوقف عندي.. أصابني الملل..فكرت في الفرار لكني أمسكت بي في آخر لحظة وأجلستني رغماً عني لأكمل مابدأته.. دون مقدمات..انشقت الشاشة الزجاجية وخرجت منها كرة نار ألقيت في وجهي المجهد..صرخت من أعماقي ..امتلأ المنزل بالوحوش المجنونة.. تعالت ضحكاتها وصيحاتها الهستيرية..أسلحتها الدموية تطير في الهواء تبحث عن شرايين وأعناق تنتقم منها..أحنيت رقبتي ودفنت رأسي بين يدي...تتسرب نظراتي من بين أصابعي وتطل على ساحات القتال التي تحيط بي وتتلبسني فلا أرى غير شلالات دماء تندفع من كل مكان دون أن أعرف مصدرها...بصعوبة تخلصت من كفيّ الملتصقين بوجهي...

نظرت إلى ولديّ فإذا هما في مكانهما عيونهما مثبتة على شاشة القتال...انطلقت صيحة غضب من شراييني ..اختطفت جهاز التحكم منهما..ضغطت أزرار القنوات..قابلتني قناة إخبارية تعرض بضائعها من صور الأطفال المذبوحين تارة ..والفدائيين في ميادين الحجارة تارة أخرى ....أصابني الجنون........أحسست كل ذرة فيّ تشتعل..تتأجج.....تنفجر..........تحولت إلى كرة نار هائلة.....ألقيت بنفسي داخل الشاشة..



تمزق



أكاد أجن..لا أصدق أن ما أعيش فيه يندرج تحت اسم (بيت)...عشرة أفراد..خمس بنات وزوج وأبي وأمي وخادمة...منذ أن أفتح عيني فى الصباح وحتى أسلم عهدهما في المساء لإغماءتي الليلية أتوزع عليهم وعندما أعود ألملمني من بين أيديهم.. لا أستطيع..اتركني وأنام نصف نوم ثم أعود لأبدأ المعركة من جديد...أمثل كل الأدوار دفعة واحدة ..زوجة..ابنة...أم ذات أنظمة خمس...مديرة بيت..وأخيراً وأولاً معاً رئيسة عمل ملتزمة بتنفيذ برامج لا حصر لها..لا أحد يريحني ..فبناتي الخمس تجذبني كل واحدة منهن إلى مرحلتها العمرية من أربعيني...أبي وأمي طيلة الوقت يتراشقان الاتهامات ...أجد روحي تميل إلى والدى المنهك المثقل بحمل عمره وقلبه العصي الرافض استكمال المسيرة..يرتفع صوت أمي فى وجهه تلومه على تكاسله واستسلامه لضعف

سبعينه..يقفز غضبي من صدري إليها لتستفيق وعندما يصل لبوابة أمومتها يتلع لسانه...ينفجر فى دمعة تنحدر من فتحة عيني تاركة إرث حزنها لنبضي المتسارع..تناديني خادمتى..تتألم..ماذا بها؟؟؟أحملها إلى المشفى..يقررون لها عملية زائدة دودية..يعتصر قلبي صبرها وابتسامتها التي تغتصبها من براثن آهاتها لتهديها إلى..أعيد توزيعي على البيت والعمل والمشفى حتى تعود...رنين الهاتف يصيبني بالجنون..مرؤوساتي يستفسرن عن أشياء تخصهن..زميلتى ذات الحساسية الزائدة عن الحد تشكو لي زميلاتها..تبكي..أربت على صوتها..رسالة قصيرة من مديرة إدارتي..(متى سترفعين إليّ ما أهميته من أعمال؟؟؟)....أجلس إلى حاسوبي أضع الرتوش الأخيرة لبرامج العمل المستعر..يمر بي زوجي ..يرشقني بنظراته النارية...أثور... أنشر أمام عينيه قاموس تمزقي..يهز كتفه وبمضي..يعتصم فى غرفته..تنقسم بناتي فرقتين بيني وبينه... أكمل عملي ..اغرسني فى المطبخ وأعطى خادمتي إجازة.. أتوحد مع الأشغال الشاقة المترلية..أذوب فيها..فقط لو أوقف هذا العقل المكوكي الذى لا يهدأ...تصرخ ابنتى ذات السنوات الثلاث تريد أن تأكل..أجهز لها الطعام..ملعقتان فقط وتضرب عن الأكل...تنتقل إلى طلب ثان ..فثالث..تغار أختها الأكبر منها بخطوات..تتمسح بي..تبكي..تدعي

المرض...أصرخ فيهـــا..لا أحـــب الكـــذب..أشـــك أنهـــا صادقة..أعانقها ...أطلقها لتلعب..أكلمهـــا..أتركهـــا بـــين أخواتها.أراقبها عن بعد...يتوقف صراخها...يتسارع صـــوت أنفاس أبي...يحتله الشحوب..تخونـــه الكلمـــات..يشـــير إلى صدره..اقفز إليه..أصرخ على زوجي..نحملـــه إلى المشـــفى.. يخبرنا الطبيب أن الحالة سيئة وليس لها حل...يقتحم الانهيـــار روحي فأستمسك بثبات جسدي وملامحي حتى لا يلاحـــظ أبي..أعود به إلى البيت..أثبت نظرى عليه قدر استطاعتي..أحمّل صوره وضحكاته المقتنصة من بين آلامـــه ووجـــوده علـــى حاسوب قلبي...وأضغط مفتاح الحفظ...ماهذا...فأرة جهازي لا تتحرك..أحاول أن أذيب تجمدها...أضغط كل أزرارى..لا تستجيب... أنادي علـــى أحـــدهم ليســـاعدني..لا يخـــرج صوتي...أمد يدي لأغلق أجهزتي وأفتحها مـــرة أخـــرى..لا أستطيع....لا أسمع..لا أرى...لا أتكلـــم....توقـــف كـــل شيء...استندت على حائط القلق ..واستسلمت..





القمقم



فتح عينيه فى الصباح فلم يعرف هل هما مازالتا مغلقـــتين أم أنه مصاب بالعمى..فتحهما وأغلقهما عدة مـــرات قبـــل أن تتآلف عيناه مع بصيص النور الخافـــت الـــذى يأتيـــه مـــن الخارج..مال هذا المكـــان ضـــاق حـــتى لم أعـــد أســـتطيع الحركة؟؟حدث نفسه وكأنه ينتظر إجابة ما..ولكن هيهـــات فقد كان يرقد فى الظلمات وحيداً لا أنيس لـــه غـــير صـــوته وخيالات غير واضـــحة مـــن ذكرياتـــه الذائبـــة فى الفـــراغ المصمت..السنوات تمر فوق جسده الذى لا يعرف له حجمـــاً دون أن يستطيع التمييز بين ليل أو نهار..ربما يدرك فقط أنـــه ينمو كلما ضاق به المكان الذى تلامس حوائطه الزجاجية كل أجزائه دون أن تترك له فرصة لتغيير وضعيته أو تحويل وجهـــه من مكان إلى آخر..منذ متى وهو أسير هذا المكـــان؟؟لايعرف

على وجه التحديد إلا أنــه اســتيقظ يومــاً فوجــد نفســه هنا..بلاذاكرة ..بلا اسم..بلا عنوان..بلا رفيق..

فجأة..سمع صوتاً منتظماً فى الخارج..لم يســتطع أن يميــز ماهيته لكنه كان متأكداً أنه سمعه من قبل..تسرب إلى وجهــه شيء رطب لايعرف حقيقته لكنه أحس بشوق فيــاض إليــه ..أخرج لسانه يتحسس به هذا الشيء فوجده مالحاً ..شــعر بحركة غير عادية تهز جسده والمكان المحيط به كأنهمــا قطعــة واحدة..الغثيان يشق طريقه إلى نفســه ..لم يعــد يســتطيع الاحتمال أكثر من ذلك..صرخ صرخة مدوية ارتج لها جسده المجهد كله..ثم أصغى ..علّ هناك من يسمعه ويمد له يداً ..بيد أنه لم يأته غير هذا الصوت الرتيب من الخارج كأنه يخرج لــه لسانه ويقول له:

لا أمل..

بكى بحرقة..اليأس يكاد يعصف به..فليعصــف إذن ربمــا يكون الموت راحة لى مما أنا فيه..قالها لنفسه وهو يتــألم ..ثم أردف..حتى الموت لايريد أن يخلصنى مما أنا فيه..وفى حركــة عصبية ضرب الحائط بقدمه ضربات متتالية فى محاولة منهكــة لتحطيمه أو تنبيه أى مخلوق بالخارج أنه هنا..دقائق مرت كأنها

أعوام..وماذا يجعلها مختلفة عنها أليست كلها فارغة وضـــائعة وضاغطة؟؟؟

بدون سابق إنذار..سمع دقاً على الحائط..كان الدق مشابهاً لذلك الذى بثّه منذ قليل..ترى هل فطن أحد له؟؟

رقص قلبه طرباً لأول رسالة تأتيه من الحوائط المغلقة..وأعاد الكرة بقدميه ويديه معاً..ثم أنصت ثانية..دعـــا الله ألا يكـــون واهماً..وما أن أتاه الجواب حتى قرر أن يطور الاتصال..غير من طريقة الطرق العشوائي وجعلها منغمة ...فارتد إليـــه الأمـــل المحمول على عاتق الجواب منغماً هو الآخر..صـــرخ: لســـت وحدى..لأول مرة منذ زمن لا أعرف مداه أشعر أنى لســـت وحدى..

أيام طويلة مرت عليه وهو يتبادل الرسائل المشفرة مع ذلك المجهول القابع وراء الحوائط فى صحوه ونومه..كان يحلم بـــه يكلمه ..يتسامر معه..يتضاحكان..يتشاجران..يتخاصمان..تمنى أن يستيقظ يوماً على ذلك الغريب يشق الأســـوار والحـــواجز ويعبر إليه حيث هو..لكن الأيـــام كانـــت تمـــر ولا يـــتغير الأمر..الطرقات هى هى..والنغمات هي هي..لا جديـــد..ولا تغيير..بدأ يشك فى نفسه وفى أن كل ما أحسه كـــان وهمـــاً وخيالاً ليس إلا.. دفعته إليه الوحدة والألم والأمل..اقتنع جزئياً بالوهم فهو خيط النور الوحيد فى ظلماته اللجية ..ترك نفســـه

متعلقاً في ذيل الرسائل اليومية حتى بعد أن خفتت حدة الأمنيات بغد مختلف..لكنه في يوم فتح عينيه وبدأ يطرق الحائط كعادته..انتظر الصوت..فلم يأت..انتظر طويلاً..بلافائدة..قال لنفسه:

ربما كان نائماً..سأطرق بعد هنيهة..

كرر التجربة..مرة ..اثنتين ..عشر مرات..بلا طائل..

ربما خرج؟..خرج!!! وهل هناك مخرج مما نحن فيه..؟؟؟

توالت الأيام وهو يطرق ويطرق ويطرق..وما من مجيب..

ثار ثورة عارمة..انتفض جسده من الغضب ..وتشنجت قبضة يده واندفعت تضرب الحائط المجاور لها بجنون..أحس أنه يختنق..انتابته نوبة من السعال الحاد كأن شيئاً يقف في حلقه يمنعه من التنفس..ظنها روحه تحاول أن تنفصل عن جسده وتتحرر من سجنها ..ازداد السعال فدمعت عيناه من الألم وتحشرج صوته ..آه لقد بلغت الحلقوم إذن.فجأة..قفز مع السعال شيء من صدره..سمع ارتطامه لكنه لم يستطع أن يراه..فالدموع غطت ماتبقى من الصورة المحيطة به..التقط أنفاسه ..وحرك قبضة يده ليعاود الطرق على الحائط ..بيد أنه لم يجد الحائط..لم يشعر إلا بفراغ فحسب مع نسمة هواء هدأت من روعه..رفع يديه لأول مرة منذ زمن طويل حتى

طال بها وجهه ومسح الدموع المنهمرة مـــن آلامـــه ثم فـــتح عينيه.. لم يستطع لأول وهلة مواجهـــة النـــور الـــذى غمـــر المكان..خرق الصوت الرتيب الذى صادقه منذ زمن بعيد أذنيه فقد كان عالياً عن ذى قبل.. نظر إلى حيث هو فوجد نفســـه يرقد فوق الرمال على شاطىء البحر..قرر أن يجـــرب قدميـــه فتحامل على نفسه وانتصب واقفاً..كان المنظر من حوله رائعاً لدرجة لم ترد بباله من قبل وهو بعد حبيس سجنه...أخذ نفساً طويلاً..ونظر حوله يبحث عن ذلك الشيء الذى خرج مـــن صدره ..ظنها روحه..بيد أنه لم ير إلا مايشـــبه الصـــندوق الزجاجي الصغير..حدثته نفسه أنه ربما كان حبيساً داخل هذا القمقم..ذاكرته التى بدأت تسترد عافيتها هى الأخرى أخبرتـــه بحكاية شبيهة..انحنى والـــتقط ذلـــك الشـــيء مـــن علـــى الأرض..وقال له:

آآآآآآآآه..هل أنت سجنى الذى عشت بداخله كل هـــذا الوقت؟؟؟

صدرت قهقة من القمقم ..فألقـــاه خائفاًمرتجفـــاً..لكـــن الصوت الصادر من أعماق القمقم أردف:

بل أنت الذي كنت سجني..

نظرإليه مشدوهاً كأنه لا يفهم..ثم أسلم ساقيه للريح..



ليلة عمر



استكملت زينتها..نظرت فى المرآة الماثلة أمامها فلم ينعكس رضاها عن الألوان الملقاة على وجهها..ضوضاء تحتل كل شبر في المكان..زغاريد لا تكف عن طرق أبواب أذنها كلما دخلت إحداهن لتحييها ...نظرت في ساعتها..لماذا تأخر؟؟.. لا تدري لماذا لم يطاوعها قلبها على الاستسلام للفرحة في هـــذا اليـــوم المسمى بليلة العمر..هاجس ما انتزع قلبها النـــابض بالحيـــاة واحتل مابين ضلوعها دون أن يترك مساحة يتجول فيها عطر السعادة..ازداد فجأة وقع الزغاريد المتجهة لغرفتـــها..قامتـــه الفارهة أعلنت عن وصوله..تحاملت على أقدامها الباكيـــة فى حذائها الضيق ووقفت لتستعد لرحلة الذوبان في الحفل..تحلقت الفتيات حولها يرتبن طرحتها وتاجها وثوبها الضخم...أياديهن تفوح منها رائحة الغبطة..شبكت يـــدها في ذراعـــه تســـتند عليه..همس في أذنها سائلاً عن سر وجومها.أجابته بابتســـامة باهتة معتذرة فيما التقطت أمها الخيط بسرعة مخبرة إيـــاه أن تلك طبيعة الفتيات في مثل هذا اليوم..هز رأسه شـــبه مقتنـــع

واستسلم للشلال المتجه إلى المصعد للنزول إلى سيارة العرس..انفتح بابه فدخلا واندفع معهما فوج من الأصحاب..وقفت أختها على الباب مترددة لكنها توسلت إليها أن تكون إلى جانبها..وما أن وضعت قدمها في المصعد حتى هوى إلى بئره بسرعة البرق.. لم يصب أحد بسوء.... وسط ذهول الجميع وصلت فرقة المطافيء وساعدت الجميع على الخروج......الأبواب المفتوحة لشقق الدور الأرضي ابتلعت هلعها واحتوتها قبل أن تفيق من الصدمة..وفى دقائق أعادوا كل شيء قدر الإمكان لما كان عليه..عيناها الزائغتان والعرق الذى أصر على استكمال تصببه من جبينها كادوا يفسدون كل شيء لولا ثبات شريك ليلتها..مرة أخرى قام بتكرار مشهد الذهاب إلى سيارة الزفاف وكأن شيئاً لم يكن لولا حشرجة فرضت سيطرتها على الزغاريد الجديدة..وجهه الثلجي الذى قررت الدماء مغادرته رغم هدوئه لم يغير من وقع خطواته المنتظم ولانبرة صوته التي بدت وكأنها لم تتأثر بكل ماحدث..حين وقفت أمام المصور اليوناني العجوز لم تستطع الابتسام..حاول أن يلقي عليها بعض النكات متسولاً إشراقة فلم تستجب إلا قليلاً..التقط الصورة يائساً..سجنهما الحفل وسط همسات المدعوين ونظراتهم المتخوفة تارة والمشفقة أخرى ...على الكورنيش خارج قاعة الاحتفال كانت المحطة

الأخيرة قبل الذهاب إلى عش الزوجية..همست أختها في أذنها بأن تلقى باقة الورد على الفتيات قبـــل أن ترحـــل..يـــداها المرتعشتان تحملان بالكاد الورود فكيف بقذفها... تظـــاهرت بالثبات بعد أن أجبرت شفتيها على الابتسام.. نظرت فى عيون الفتيات الباردة تفتش عـــن لهفـــة علـــى ورودهـــا ..فلـــم تجد....ارتجفت الباقة بين أصابعها..قفزت في الهواء...احتضنتها أذرعة الأمواج...



القطار



أسندت ظهرى على خلفية مقعدي علّه يستريح من عنائه طويل.. لم تكن تلك هى المرة الأولى التى أسافر فيهـا فلقـد ولدت مسافرة مهاجرة كلما حططت رحالى حملتها من جديد عبر الأيام والسنين التى أصبحت ممتلئة بالحفر والمطبات الصناعية والطبيعية ..كنت قبلاً أسافر بالسيارة وأترك نافـذتى نصف مفتوحة لأستمتع بالهواء يطالع وجهـى ليشـق فيـه علامات سفر لا يراها من خلق الله غيرى..كانت المشـاهد فى السيارة تتسارع وتلاحقها عيونى كى تحتفظ بشىء مميز فيهـا ..لكنها على أية حال كانت تمر..وتصبح كغيرها من الصـور المتكررة فى ألبوم مشاهدي الحياتية اليومية أو الدورية..لكـنى فجأة مللت تلك المشاهد وأصبحت أحس الهواء المتسـرب إلى من النافذة السيارية صفعات متتاليـة تـذكرنى بمـا لا أود تذكره..وتحبسنى فى إطار صورة قديمة أبيض وأسود لا دخـل للألوان فيها..لهذا ..قررت تغيير دابتى والتحول إلى القطار..

القطار..مكان مغلق أختار فيه مقعداً مفرداً لا يشاركني فيه أو في جيرته أحد..زجاج نوافذه المقفول لا يتسركني لتلك الصفعات الهوائية المتتالية التي أرهقت أيامي وأحلامي معاً وسلبت مني القدرة على الاستمتاع بنوم هادىء وقصص نسوم ناعمة..وتكييفه الصناعي يقدم لي ما أريد بالضبط دون إفراط أو تفريط..

ورائي وأمامي قصص كثيرة تجلس على مقاعدها ترتدى نقاب الزمن والخصوصية..ولأني مثقلة لم أترك لعيني مجالاً تتصفح فيه تلك الوجوه المعنونة بمانشيتات عريضة قد تصدق أو تضلل.. لم أعد أصطحب فضولي الشبابي الذى ابيضّت شعرات متناثرة من رأسه معي وهو يخطو نحو محطته الجديدة و ربما الأخيرة..لايضايقني إلا صوت مسير القطار وهو يحتك بالقضبان الحديدية التي لا أدرى هل هي التي يتحرك فوقها أم التي تأسرني وراءها.. اختلط مفهوم القضبان داخلي بسبب ذلك الشجار المستمر بينها وبين عجلات قطارى..

فجأة جاءت المضيفة لتسألني :أتريدين شيئاً سيدتي؟؟؟؟

قلت بلا تفكير..نعم ..أريد أن أكون وحدى..

نظرت لي نظرة ذات مغزى..و لم تـرد..ومضت تسأل غيرى..

ذكرتني نظرتها بالماضي الذى نفضته عن كاهلى وحوارى القريب معه..كم دق بابي مراراً وتكراراً بصوره وأفراحه وأتراحه وتباريحه وتسابيحه..وأنا أقول له:دعنى وحدى..فيبتسم نفس ابتسامة المضيفة التى تقول: ستحتاجيني..وكيف لا وأنا جزء منك وأنت سِفري وكتابي الذى يكملنى..لا أستطيع أن أنفصل عنك مادمت حية تتنفسك الأيام والليالى..وتنبض بكلماتك وحركاتك أوراق سفرك..

زفرت بضيق: ماذا أفعل هل أغير دابتي للمرة الثالثة..وماذا أركب المرة القادمة؟؟طائرة؟؟؟

لا لا.. لا أحب الطائرات..ليس لأنى أخافها ولكن لأنى لا أستطيع أن أشعر أنى حية وأنا بداخلها..ففيها تشعر أنك منفصل عن الدنيا بأسرها خاصة عندما تبتعد شيئاً فشيئاً عن الأرض التى أنا بعض منها..قد أريد الوحدة والخلوة ..لكنى لا أستطيع أن أدفن نفسي فى السحب حتى تأتى محطتى..

آه...مازال قلمي يؤلمنى..يتأوه يريد الخروج من سجنه المفروض عليه بدعوى أنه مريض يستحق الشفقة والعلاج..هددته أنه لو لم ينته لأقتلنه ...صرخ في بدموع مداده..وقال: لاتستطيعين..فأنت لست سيدتي..إنما سيدى

الذى خلقني فيك ونفخ فيّ روحك..فصرت أنا أنت وأنت أنا...

وبختـه قائلة: "ألا تكف عن هذا الهراء؟؟"

قال:إنه ليس هراء إنها حقيقتي وحقيقتك..لماذا تهربين مني ؟؟أتخافينني؟؟

ضحكت ضحكة هستيرية وأجبته: أنا أخافك؟؟؟..أنت فى يدى بين أصابعي لاتستطيع أن تخط حرفاً دون إذني فمن إذن يخاف من؟؟

بكى القلم..أحسست بالندم لأنى آلمته..لا أدرى ماالذى فجر الشجار بيننا..ربما هى عدوى أصابتنا من شجار عجلات القطار وقضبانها..

صافرة القطار تنطلق..ماالذى جعل السائق يطلقها؟؟مازالت محطتي بعيدة وهذا القطار لا يتوقف إلا فى محطتين ، التي ركبت منها والتي أنزل فيها..أتلفت كى اسأل المقاعد الأخرى فأجدها خاوية؟؟؟مازال صراخ الصافرة يتوالى...ماذا أفعل؟؟أأقفز من القطار ..لا ..لا أمتلك الشجاعة لأفعل هذا؟؟ثم لماذا أقفز وأنا لا أرى حتى الأرض التي سأسقط عليها؟؟؟يكاد الصوت يصم أذني..أشعر بدقات قلبي تتسارع وبقلمي يسقط من بين يدى

ويرتطم بالأرض بعنف..أرى مداده متمدداً تحت قدمي وأنـــا كالمقيدة في مقعدي لا أستطيع فكاكاً..

فجأة يصمت كـــل شـــيء...وتســـكن حــــتى حركــة القطار..لكن الأبواب تظل مغلقة وفتحات النوافذ مســـدودة معتمة..أغمض عيني وأسلم نفسي لمركبة أخرى..

مدفأة

ارتجفت من البرد..خالت أن أطرافها قد تبرأت منها وأصبحت أجساداً أخرى لا تمت لها بصلة..حاولت تحريك أصابعها فأبت أن تطاوعها..صوت المطر المنهمر بالخارج عدائي قاس يشعل غيظ الرعد فيهدر زئيره مهدداً الجميع بالويل والثبور إن لاحت لأحدهم فكرة الخروج من البيت..تحول صوت قطرات المطر إلى نقرات متوالية لقذائف صلبة لا تهدأ ولا تترك فرصة للخلود إلى النوم..زاد قلقها واضطرابها..منذ متى وهي هنا؟؟؟ أعوام طويلة مرت عليها منذ أول يوم جاءت إلى هذا البلد البعيد ساعية وراء غد أفضل.. كم منت نفسها بأنها ستصادق هذا البرد الأرعن وألبستها عشرات الوعود بشتاء أكثر دفئاً يمكنه احتواء تجمد قلبها الملقى بين ضلوعها بلا فائدة غير انتفاضات روتينية تبقيها على قيد الحياة..سمعت صوت الباب الخارجي للبيت يغلق..من المؤكد أنه زوجها فمن غيره يفتح الباب ويغلقه.. لم تستطع أن تتحرك من مكانها كما

كانت تفعل فى بداية زواجهما لتحمل عنه تلـــك الأكيـــاس البلاستيكية المنتفخة بمستلزمات المترل وتضع محتوياتها كـــل فى مكانه..ألقى عليها تحية المساء فأومأت إليه برأسها..

-أمازلت فى جلستك تلك منذ خرجت..؟؟

هزت رأسها بالإيجاب...

-قلت لك عشرات المرات أوقدى المدفأة إذا كنت تخـــافين الحساسية التي تصيبك من جهاز التكييف؟؟

ألقى الأكياس على منضدة المطبخ ثم دلف إلى الداخل..بعد لحظات خرج وهو يحتضن المدفأة..وضعها تحت مقعـــدها ..لم تعترض رغم أنها تكرهها..شمعتاها الحمراوان تنظـــران إليهـــا بوقاحة وتصران على حرق ماتبقى من أعصابها..آه..ما أشـــبه تلك النظرة بتلك التي كانت تطل من مـــدفأة أمهـــا.. ازداد ارتجافها ..تحول إلى تشنجات ..لم تعد تستطيع السيطرة علـــى جسدها.. لم تفق إلا على انتفاضته هاجماً على هذا الـــوحش المخيف يحمله ثم يلقيه من النافذة..أتى زوجها مـــذعوراً مـــن الداخل على صوت الارتطام..تسمر فى مكانه ..نظـــر إليهـــا مستفسراً..أحست بارتباك .. تدثرت بالصمت..سمعته يتمتم: عاودتها النوبة..

في المساء خرج..وأتى بمدفأة جديدة..

قاب قوسین



آه..تعبت من الركض..منذ أن أطلقوا تلك الكلاب المجنونة خلفي وأنا على هذه الحال...أما من مخبأ ألتقط فيه أنفاسي؟؟..أما من مكان آوى إليه بضع دقائق فقط لأرتاح؟؟....إن نباحها المسعور يصيبني بالرعب فأسلم قدميّ للريح دون أن أفكر وكلما اخترقني التعب حملني الخوف على متنه قبل أن أمسي وجبة شهية لمن لايرحم..كلما التفت خلفي لأقيس المسافة بيني وبينها أصابني الجنون..قلبي يكاد يقفز من صدري ويعلن العصيان من كثرة ما انتفض...أفكر أن ألقي بنفسي إلي أنيابها لينتهي الأمر..إن هي إلا ثوان وأرتاح نهائياً مما أنا فيه..لكني أجبن ثانية وأنا أتخيلها تنهشني قطعة قطعة..ماذا لو لم أمت فوراً؟؟؟ماذا لو مزقتني وأنا حي؟؟؟لا...فلأستمر في الركض حتى النهاية...أخيراً لاح لي باب مفتوح..لا أعرف إن كان هذا الباب باب بيت أم غيره..لكن لا حل أمامي إلا القفز

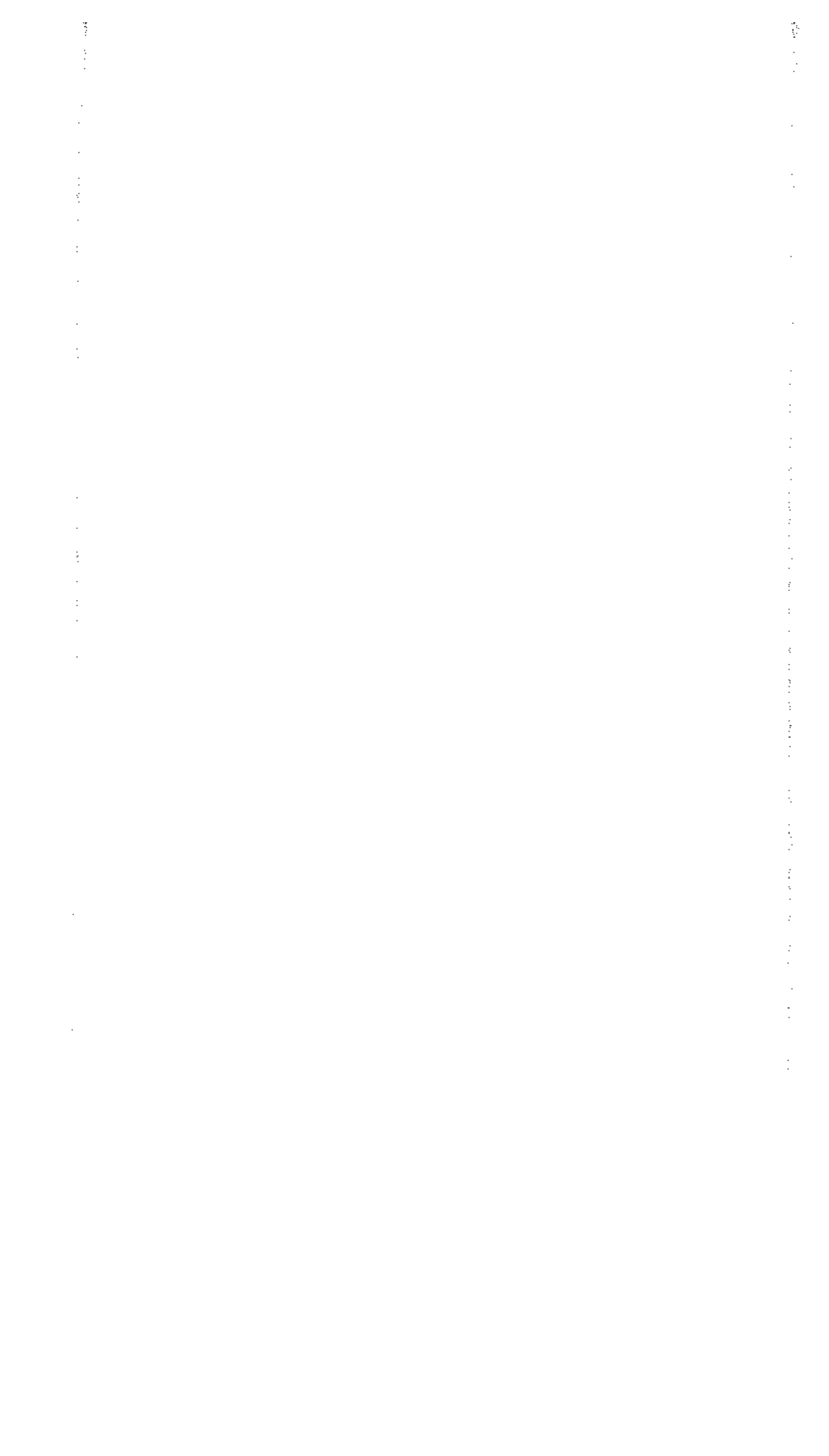
داخله وسد الباب لأفكر..فقط أفكــر في مخــرج...بالفعــل نجحت..ألقيت بكل ثقل جسدي على الباب حتى أصد دفــع الكلاب له ونباحها الذي ألهبه اليأس بعــد أن كانــت قــاب قوسين أو أدنى من وجبة شهية تسد جوعها الشرس..أغلقت المزلاج جيداً ثم وضعت كل ماوجدته فى الغرفة من صــناديق وأثاث قديم وراء الباب ..جلست على مقعد مستكين فى ركن الغرفة وعيني على ذلك اللوح الخشبي الذي يفصــلني المــوت أنتظر أن ينكسر في أى لحظة ويبدأ الهجوم الفعلي على ماتبقى من أنفاسي..دون أن أشعر غلبنى النعاس فقد كنــت منــهكاً للدرجة التي تغلب كل مشاعر الرعب التي افترستني عبر رحلة ركضي المهلكة..استيقظت على صوت الكلاب ثانيــة وهــي تدفع الباب بجنون..بدأت الأشياء التى وضــعتها وراء البــاب ترتجف هي الأخرى..انتفضت.. دارت عيناى فى الغرفة تبحثان عن مخرج..أخيراً وجدت طاقة مفتوحــة فى ســقف الغرفــة القريب...ثبت نظرى عليها..تعلق كــل أمــل لى فى النجــاه بها..لكن.كيف أصل إليها..كيف أخترقها..درت بنظرى مرة أخرى فى الغرفة..وجدت ما أريد بين تلك الأشياء التى كومتها خلف الباب..سلماً خشبياً قديماً..سحبته بهدوء ووضعته تحت الطاقة المفتوحة..اختبرت ثباته ثم صعدت على درجاته ويــداي متشبثتان به لكي لاتزل قدماى المرتعبتان..بالكاد وصــلت إلى

حافة الطاقة..مددت يدي وتمسكت بها وبدأت في الاعتماد على ماتبقى من قوة ذراعيّ للخروج منها..فجأة..وجدت يداً تمتد إليّ من الفتحة تساعدني على الخروج..شعرت بقشعريرة تسري فيّ بمجرد ملامستها لكني لم أفكر..أسلمتها يدي وجسدي معاً لتحملني إلى السطح..نجحت أخيراً في الخروج من الطاقة..رفعت رأسي لأرى من أخذ بيدي..تسمرت في مكاني .. لم أستطع أن أنبس ببنت شفة..مسوخ مخيفة تحلقت حولي ..شلت المفاجأة الجديدة عقلي عن التفكير..كانت تحملق في بعيون نارية وتتوعدني أنيابها بما لم تفعله زميلاتها التي مازالت تعزف سيفونية النباح المجنون بالأسفل..أخيراً نطقت..: ماذا تريدون مني؟؟ امتدت يد أقربهم إلى فمه..فتحه وأشار إلى لسانه الضخم..

هتفت: غير معقول؟؟؟؟؟؟؟أتريدون لساني فقط..لساني وتتركوني؟؟؟؟...

هز رأسه بالإيجاب...

ازداد نباح الكلاب الجائعة التي ارتفعت رؤوسها تتعجل سقوط جسدي ليسد رمقها بعد أن أرشدتهم رائحة رعبي إلى مكاني الجديد..نقلت بصري بسرعة بينهاوبين الوحوش المتربصة بي... لم أفكر كثيراً...قفزت من السطح..



المرايا



جلست أمام المرآة تتأمل صورتها المنعكسة على صفحتها الزئبقية..أحست أنها تتجنبها لا تريد أن تنظر فى عينيها ..ثبتت نظرها عليها وأجبرتها على ماتريد..استدعت أدوات زينتها ..أحمرها ..أبيضها أزرقها..نجومها الفضية التى تعودت أن تنثرها على محياها لتزيد بريقها وتألقها..بهدوء بدأت مهمتها اليومية بروتينية وثقة ..تعرف يديها التى تستطيع أن تغير بها معالم أى شىء حتى وجهها..حين أنهت عملها..نظرت لنفسها والرضا يطرق أبواب قلبها ثم سألت مرآتها:مرآتى..هل هناك فى الكون من هى أبهى منى؟؟؟خالت المرآة ترتجف..صدمت..اغرورقت عيناها بالدموع عندما جال بفكرها أن المرآة تنكرها..جن جنونها وانقلبت من ألوان متناسقة إلى أمواج متلاطمة متناحرة تبتلع داخلها آخر معاقل الأمل فى الجمال..التقطت مكواة شعرها الحديدية التى تمقت الأسلاك..وهوت بها على المرآة فانتثرت أجزاؤها هنا وهناك معترضة ..انقسم ماتبقى منها فى مكانه إلى صور عدة

مشروخة تواجه ثورة الثائرة في تحد واضح..تـــأجج الغضـــب الذى لم ينته إلا فوق جثتها المفتتة..هدأت مـــن روع نفســـها وتركت غرفتها وهى تلملم بقايا جنون شـــعرها ..غســـلت وجهها من كل ماعلق به من محاولات ومنازعات لتمحو أثار المعركة التي انتحرت منذ قليل..أمرت باستبدال المرآة بـــأخرى ذات مواصفات خاصة..بعد قليل..استعادت مكانها لتتجمـــل ..صففت شعرها وعقصته خلف رأسها ..أعادت رسم لوحة وجهها بنفس الألوان والخطوط.. نظرت لنفسها ملياً في مرآتها الجديـــدة..ابتعـــدت قلـــيلاً وثبتـــت عينيهـــا عنـــى عـــيني صورتها..استعدت المرآة لإجابة سؤالها بعد أن رأت بقايا أختها تئن من الألم..لكن هذه المرة لم يأتها سؤال..بل صوت صاحبة الصورة تقول:جميلة..بل أجمل امرأة على وجه الأرض.. أعـــاد رجع الصدى الكلمات مضطرباً..ابتسمت ابتســـامة واســـعة ..وخرجت...

بين جدارين



هذا المساء..لا أريد أحداً معي..سأغلق بيتي العنكبـــوتي علـــي وأخرس هذا الهاتف المحمول كي لايقطع علي حبل أفكـــاري رغم ضياعه منذ فترة طويلة..لا بأس سأبحث عنه في كل مكان حتى أجده وإن لم أجده سأجدل غيره من خيوطي المبعثرة في سلال نفسي القديمة الملقاة في غياهبها دون اكتراث.. صـــوت ولدي يخترق الصمت..ها هي خطواته تقترب مـــن وحـــدتي المشوهة..الحمد لله..لايريد شيئاً فقط يمر بي يقبلني ثم يدخل إلى المطبخ ليشرب ويعود إلى فراشه من جديد.. أعاود قفل بـــاب وحدتي بالمفتاح من الداخل لكنه ينكسر..هل كان ينقصني هذا الآن؟...حاولت استخراج الجزء المكسور من الباب ..أنهكتني المحاولة..أخيراً نجحت..لكن الباب سيظل مفتوحاً لحين تركيب طبلة جديدة..تصلني رسالة عنكبوتيـــة..أتـــردد..أفتحهـــا أم لا..أحسم ترددي وأفتحها...

(عمليـــــة استشـــــهادية في الخليـــــل) تجـــدلني أحاســـيس متضاربة..عزة..قهر..فرح..حزن...سعادة..انتصار...عجز... كلها تتجمع في جزء من الثانية لتأخذني إلى زلزال شعوري ... أتمسك بوحدتي أكثر..أصر عليها ...أعاود الرحيل في اللامكان

واللا زمان..أعود للبحث عن حبلي المفقود..لكنه يصر على الاختفاء..

تأتيني رسالة أخرى..

(دعوة للتعارف من شخص لا أعرفه كل مؤهلاته أنه رجل) يصيبني غثيان مفاجيء..

الباب يدق...أتظاهر بعدم سماعه..يعلو صوت الطرقات ويعلو...يوقظ البيت كله....يتجه الجميع إلى مصدر الطرقات وهم يرشقونني بنظرات نارية...لم أتحرك من مكاني...انفتح الباب ..اندفع سيل من أصوات الجيران على أذني...البيت يتزلزل...سينهار..أخرجوا سريعاً..

الجميع يصرخون في وجهي..المترل يتهاوي فوق الرؤوس...يركضون للخارج...لم أتحرك..

أخيراً سأكون وحدي...


دمعة ألم



الطقس اليوم مكفهر..السخونه تلذعني رغم أني لا أكـــاد أرى الشمس..حركة غير عادية تملأ فضاء المعتقل لا أعـــرف كنهها لكن لدى إحساس أهم سيفرجون عني هذا اليوم..قالت لى زميلتى فى الزنزانة: كفاك من أحلام اليقظة ..كم مرة قلت أنك سيفرج عنك و لم يحدث..صفعتها بنظرة حادة ثم قلت لها: اتركيني وحدى وكفاك إحباطاً..هذه المـــرة ليســـت ككـــل مرة..نظرت لى شزراً ثم غابت..ظللت واقفة على باب الزنزانة لا أتحرك...حرارة بوابتها كانت تشع لهيبها على وجهي وأنـــا أرفض المغادرة..تحركت السجانة حركة غـــير عاديـــة أمـــام بابي..كان وجهها فى قمة كآبته..لم أرها كذلك منـــذ آخـــر إفراج لآخر سجينة..قوانين السجن لدينا لم تكن تشبه غيرها فى أى مكان آخر..كانت متشددة وقاسية لاتسمح بإطلاق سراح إلا فى أضيق الحدود..ازداد الظلام فى المعتقل و لم تتوقف الحركة

الدؤوبة..وفجأة اقتربت السجانة من زنزانتي..ثم قالت: ماالذى يوقفك هنا ألا تعرفين أن ذلك من الممنوعات..قلت لها بصوت مخنوق: أعرف سيدتى...لكني......

لم أستطع أن أكمل الجملة فقد كنت أراقب المفاتيح الكثيرة التي تحملها في يديها وتبحث بحركة لا إرادية عن مفتاح بعينه..

سألتها: هل هناك استراحة إضافية هذا اليوم؟؟؟

قالت لي: لا ..لكن لك استراحة نهائية..ستخرجين اليوم..

زفت إلي البشرى وكأنها تنعيني..ربما ستفتقدني وهذا كل مافي الأمر..

رغم تعليلاتي لنفسي لأطمئنها لكن قلبي انقبض رغماً عني.. عنفت نفسي وصحت فيها: ألم تتمنى هذا منذ زمن طويل؟؟ماذا حدث إذاً؟؟؟..ربما نألف بعد سنين من الاعتقال قيودنا وتصبح جزءاً لا يتجزأ منا..ونخاف التحرر منها..وربما هو خوف المجهول..فلقد فتحت عيني على هذه الدنيا فوجدتني هنا..حلمت كثيراً بالخروج للنور..بالانطلاق..بالتعبير عن نفسي بطلاقة دون سياسات قمعية أو تهديدات فوقية..تمنيت أن ألحق بزميلاتي اللواتى سبقنني رغم أني لم يصلني من أى منهن ما يؤكد سعادتها خارج المعتقل..أو ما يطمئنني أو يخوفني

من مستقبلي خارج تلك الأسوار العالية القاطنة خارج محيط زنزاناتنا..غريب أمري..أريد شيئاً لا أعرفه..وأخافه في نفس الوقت..عموماً ما من رجعة في الأمر..حان وقت الخروج ولا سبيل للمكوث في هذا المكان الأشبه بجب مظلم ..

فتحت السجانة الضائقة بالدنيا وبي الباب..وخرجت أجر قدماي جراً..يعتمل في صدري الفرح والخوف معاً..كنت أرتجف رغم حرارة المكان..أتقدم خطوة وأتراجع اثنتين..لكني شجعت نفسي وحثثت الخطا للأمام..وجعلت أردد: أنا سعيدة بالخروج من هذا القمقم..علي أشعر بالثقة في نفسي وفي الدنيا الجديدة التي ستعانقني بعد قليل..

كانت السجانة تسير بجانبي لتوصلني إلى الباب الداخلي للمعتقل..وعندما فتحته أخبرتني أني سأمشي مسافة قصيرة حتى الباب الخارجي للأسوار..لم أستطع حتى أن أشكرها..فبمجرد فتح الباب أعمى النور عيني فلم أكن قد تعودت عليه بعد..أغلقت الباب وتركتني أكمل طريقي..توقفت هنيهة..ثم بدأت أعاود السير..كان الطريق وعراً منحدراً..نظرت حولي أبحث عن رفيق في هذه الرحلة..لكني لم أر أحداً..احترست لقدمي..ورغم ذلك كنت انزلق شيئاً فشيئاً على المنحدر بالرغم من وعورته..أحاول أن أتوقف عند تعاريجه حتى لا أتعثر وأقع..وما من أحد هنا لينقذني..لاحظت أن أقدامي تترك آثاراً على الأرض

العجوز..كانت سخونتى التى اكتسبتها من داخل المعتقل تزيد وتشتعل وتنتقل مني إلى موضع خطواتي فتحمر الصخور من فرطها وتتغير معالمها..أخيراً تبدى الباب الخارجي للسجن..لم يكن عليه حراس ..سألت نفسي : كيف سأفتحه؟؟؟؟ ثم قلت لها:لاداع للأسئلة ..عندما تصلين ستعرفين..

بمجرد وصولي انفتح الباب ووجدت خارجه سجانة تشبه التى فى الداخل لكنها...كانت تمسك فى يدها ثوباً أبيض ناصع البياض..لايزينه شيء ..لكن رائحته كانت عطرة..عندما اقتربت منها..اكتشفت أنه ليس ثوباً بل كفناً..

خدعونى.. هل كان خروجي هو ناقوس موتي؟؟

لم أستطع الهروب من الكفن المنشور..أسلمت نفسي إليه كالمغيبة فابتلعني في أقل من الثانية حتى صرت لا أُرى بالعين المجردة..لكنى كنت محسوسة..

سألت نفسي..لم حدث كل هذا؟؟؟؟؟...هتف بي هاتف: من أجل الخطوات..

ناديت وأنا أحتضر: وهل لها من قيمة؟؟

رد الهاتف: إنها حصيلة الألم..لكنها راحة..

حاولت أن أفهم ..لكنى كنت أتبخر..

أحسست بيد تطوي الكفن عليّ ثم دسّته في مكان مجهول..

مساء عنكبوتي



كلما أغمضت عينيها وجدت نفسها في هذا الطريق الطويل المعتم الذى لاتتبين نهايته ..أصبحت تفر من إغماض عينيها لكن هيهات..إنها تعمل ليل نهار لتحافظ على مستواها وأسرتها الصغيرة بعيداً عن مخالب العوز والحاجة وبالليل تجد نفسها مضطرة مستسلمة للقاء جفنيها..منذ متى يلاحقها الطريق المعتم؟؟لا تتذكر..ربما منذ ذلك اليوم البعيد ..كان عمرها يناهز الخمس سنوات وأثناء ركوبها سيارة أجرة مع جدتها لحضور حفل زواج أحد اقربائها البعيدين عن محيطها الطفولي..لاتعرف لم يومها نظرت إلى نفسها بثوبها البني المموج ذى الكرانيش البريئة.. وقالت: من أنا وإلى أين أذهب؟؟

ألم يكن الوقت مبكراً على تلك الرائعة لتسأل هذا السؤال؟؟

.. فتحت عينيها على آخر ماتستطيع كي تتبين تلك النهاية لكنها لم تستطع..كانت نقطتها غير واضحة غير محددة

المسافة..ولتهرب تعلمت الإغماض..تعلمت أن تغلق عينيهـــا حال أى وخزة تأتيها من فكرة النهاية.. كانت تـــرى عـــوالم جميلة من غد ملون يذوبها في أحضانه بريشته الفنانة ..فتـــأوي إليه وتحتويه كي لايهرب منها ..تدفع به الأيام ليلمسها بعصاه السحرية ويطيل قامتها ويضيف تصاميمه على عقلها وقلبـــها ونظرتها فيجدد مايجدد ويخفي مايخفي ويحولها من واحـــدة إلى أخرى دون أن تدري..ومع التحول يحملها ليضعها فوق آثـــار أقدام غيرها ..

منذ عشر سنوات وقبل بلوغها الأربعين بدأ تغير ما ينتـــاب ذلك الغد الملون الذى كانت تلـــوذ بـــه فى إغـــلاق عينيهـــا وانفصالها عما يؤلمها.. لم تستطع فى البداية تحديد كنه هذا التغير ..كل ماكان يرهقها أنها لم تعد تجد هذا الأمان الكامـــل ولا تلك الألوان المبهجة..تحولت الألوان من غبطتها وانتشائها إلى درجة آفلة تزيد شيئاً فشيئاً كلما مرت الأيام.. أخذت بنصائح البعض في تغيير روتين حياتها ومظهرها .. لكن مهربها لم يتأثر .. بل أصر على استكمال الأفول... مع الوقـــت قـــررت أن تهمله..تنساه..أقنعت نفسها أنها ربما مثقلة وأن الأمر لا يعـــدو أن يكون سحابة صيف تمر بسلام .. بدأت تبتعد عن ملاذهـــا القديم إلى مسؤولياتها وأعمالها كي تشل هذا الإحساس المقيت

الذى ينقض عليها كلما انتوت بالفرار.. ومع اختيارها الجديد وبالتحديد يوم احتفالها بأربعينيتها حين اضطرت إلى إغماض عينيها..اختفت الألوان تماماً وظهر هذا الطريق المظلم الـذى لاتتبين نهايته.. خطوات أقدامها في هذا النفق المعتم كانت هي الصوت الوحيد الذي يزيد من وحشة وحدتها وانقباضها..

ماهذا؟؟

أصغت السمع .. تخيلت أنها تستمع إلى خطوات أخرى لها نفس وقع خطواتها تسير وراءها مباشرة..زاد تلفتها لكنـه لم ينجب لها أى إشارة إلى حقيقة ذلـك الملاحـق لأنفاسـها.. تسارعت ضربات قلبها..أرادت أن تنفض الرعب الذى اقتحم اكتنافها فحاولت فتح عينيها لكنها لم تستطع.. قاومت هـذا الإغلاق المضني وجاهدته لتخفف من قبضته وتنفذ إلى داخلها خيط نور ..فباءت كل جهودها بالفشل..أسرعت خطوتهـا فتسارع الصوت وراءها يريـد أن يلحـق بهـا..ركضـت ..تساقطت حبات عرقها ثم هطلت كالمطر فانزلقـت قـدمها وانكفأت على وجهها..عاودت القيام من جديد..وأكملـت الركض بقدم أوشكت قدرتها على لفظ أنفاسها..كانت تدفع جسدها للأمام قدر استطاعتها ليشد إليه قهراً وقسـراً ترهـل سرعة قدميها..فجأة دوت صرخة مكتومةمع اصطدامها بعنف

بشيء لم تتبينه...تحسسته بيديها..دقته بأصابعها ثم براحتيها وقدميها لكنه كان جداراً مصمتاً لا يوحي بوجود أى فراغ أو فتحة تستطيع النفاذ منها..صوت الخطوات وراءها وحولها لم يتوقف..استدارت وأسندت ظهرها إلى ماإصطدمت به ..مدت يديها فى الفراغ علها تلمس أى مصدر للصوت لكنها لم تجد ماتمسك به..أصوات الخطوات تتعالى وتحيط بها...سدت أذنيها...الصوت يقتحم الانسداد..يخترقه يصر على الوصول إليها..أحست بشيء ضخم يتحرك آت من ناحيتها الأخرى ..حاولت أن تصده أن توقفه لكنه كان يتقدم ..صرخت فيه ..لكنه لم يستمع إليها ظل يقترب ليلتقي بأخيه الذى تسند إليه ظهرها خارت قواها..لم يعد لديها ذرة مقاومة..شعرت بجسدها ينضغط بين الجدارين..استسلمت تماماً...ازداد الألم مع إصرار الجدارين على الالتصاق..أحست بعظامها تطحن دونما صوت..تداخل الجداران والمشاهد والأشياء ..اختفت كل الصور والأصوات.. لم تعد تشعر بشيء..


تألم

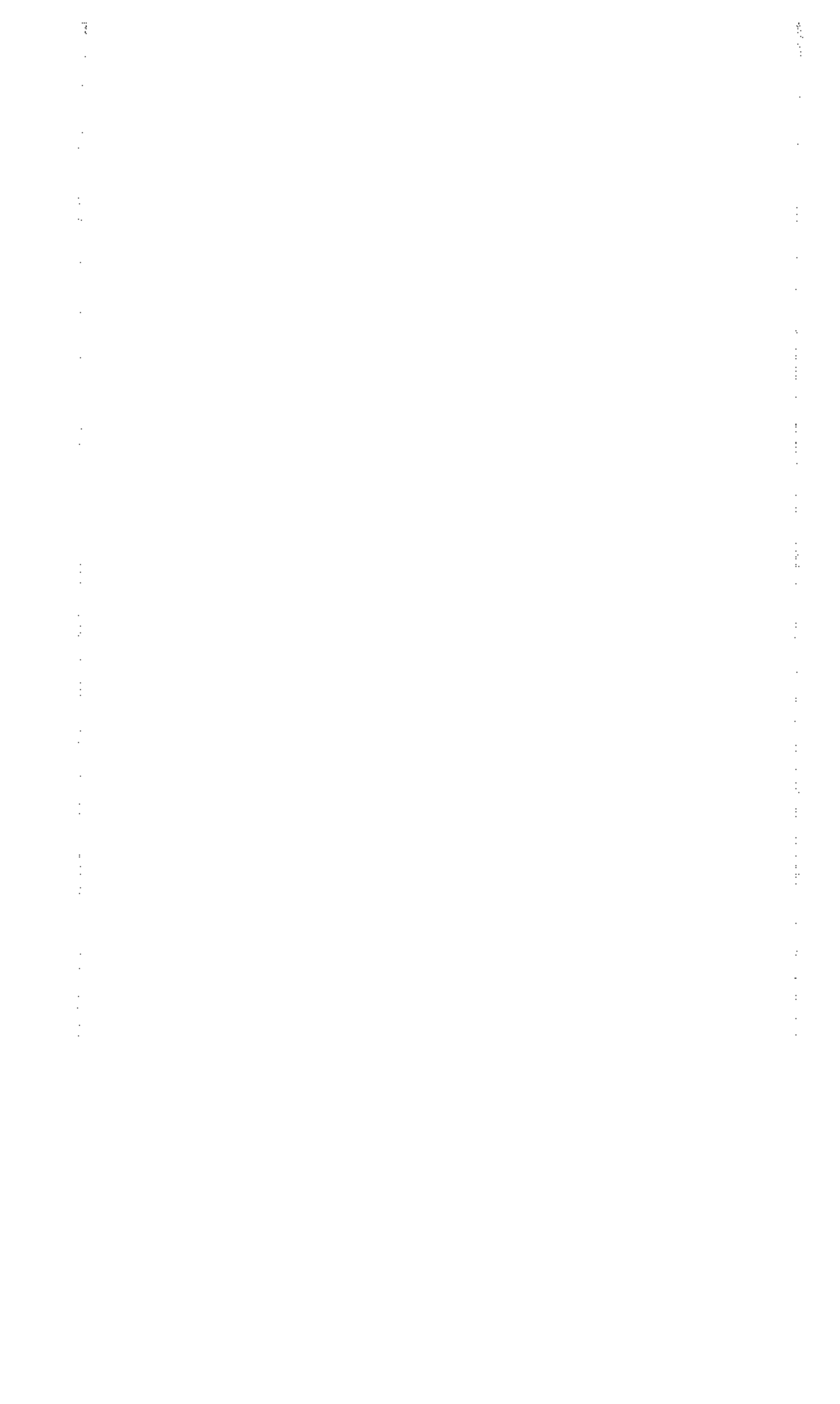


فاجأها الألم الذى تعودت زيارته من حين لآخر..أصبحت خبيرة به تعرف علامات قدومه وتحفظ عن ظهر قلب أسلوبه المميز فى تعذيبها..عندما أحست وقع خطواته قفزت إلى علبة الدواء وتناولت القرص الذي اعتادت عليه لكنه لم يأبه لها ولا له..اشتعل جنونه بسرعة البرق..أحست أن سقف الغرفة ينطبق على أرضها..الدنيا تضيق..قالوا أن المرء في تلك اللحظات يمر أمامه شريط حياته لكنه لم يفعل فزائرها الثقيل لم يترك لأحد فرصة لينال منها غيره..أمسكت بيد زوجها تعتصرها علها تنفس عن بعض مابها لكن هيهات..كانت ترتعد خوفاً من أن يتركها وحدها مع ذلك الوحش حتى لو كان ذلك لجلب الدواء اللازم لها..خارج غرفتها جلس أحد أولادها أمام شاشة الكومبيوتر مسلماً إليها قياده بينما تذبذبت صيحات الآخر مع منحنى سير مباراة كرة القدم بين سادة اللعبة..تعالت آهاتها وهي تنثر أجزاءاً من روحها في فضاء الغرفة....في حين ألقى زوجها بنفسه داخل الهاتف يسأل الجار

الطبيب عن مهديء للألم ..صوته اليـــائس أخبرهـــا بأنـــه لم يجد..بدأ يرتدي ملابسه بسرعة للذهاب إلى الصيدلية..صرخة ابنها الناقمة على الهدف الضائع نفضتها من مكانها..بدأ الألم يخبو وأخذت ابتسامة ساخرة طريقها إلى شـــفتيها..أشـــارت لزوجها بتحسنها وبأنه لا داعي لخروجه ..ربت على يـــديها مطمئناً..وانصرف يتابع الدقائق الأخيرة من المباراة..

خرجت متحاملة على نفسها لتمحو بقايا ماهـــا..نظـــرت لولديها اللذين لم يتأثر انشغالهما بإطلالتها الشاحبة....بطرف عينها لمحت أباهما يحد النظر إليهما ليـــسألا عنـــها..دون أن يلتفت سألها الكومبيوتري: هل أنت متعبة ياأمي؟؟؟

تلبس

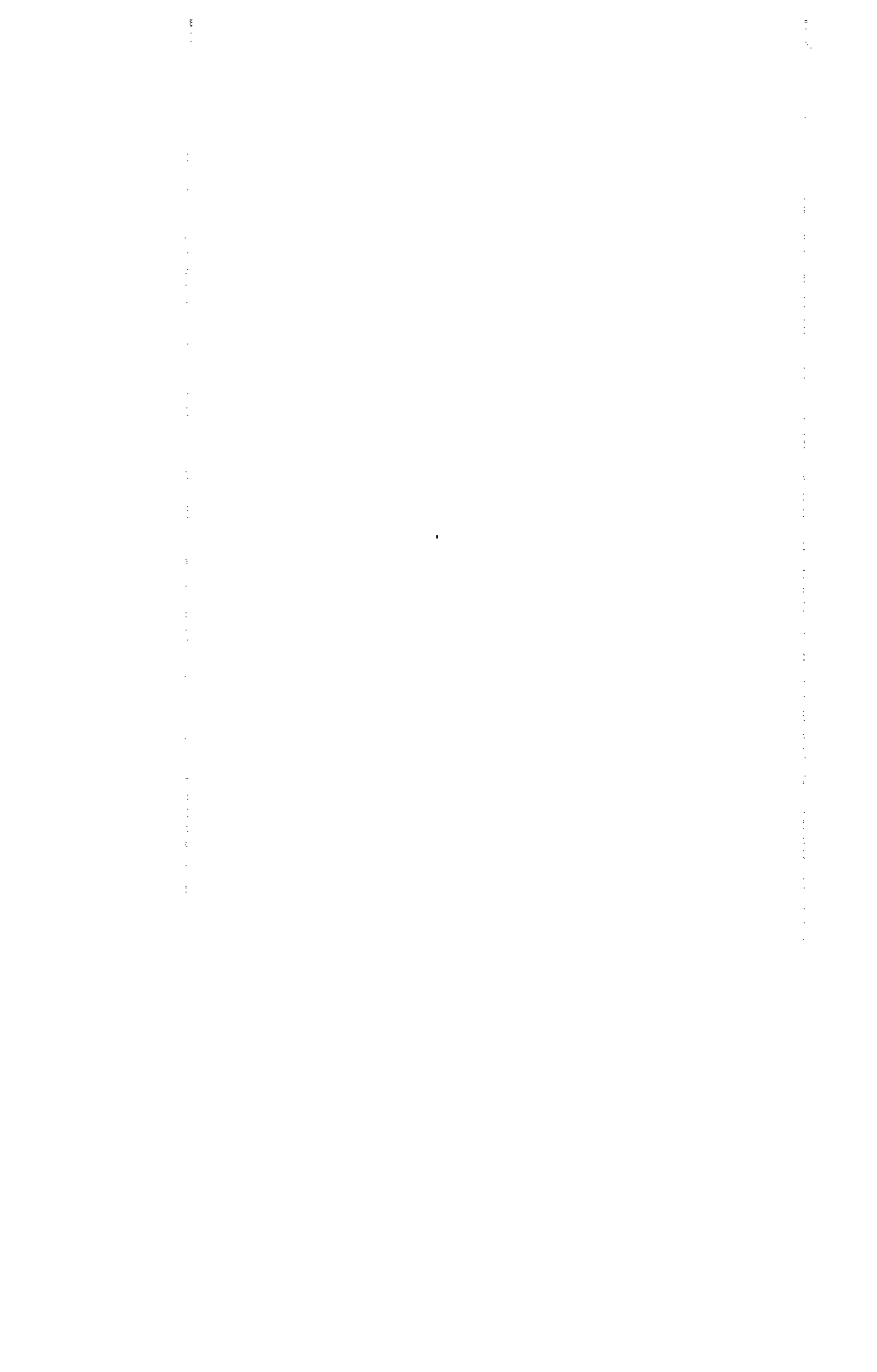


ضبطتها..تلك المتكبرة التي تستكثر حتى الرد على أسـئلتي المنهكة..اعتقدت لفتـرة طويلـة أنها مصـابة بـالخرس أو الصمم..كنت أنظر إلى عينيها أتلمس إجابة...تفاعلاً..لكـن هيهات.. لمحتها في بعض اللحظات تـرميني بنظـرات خفيـة أقتنصها لأؤكد لي أنها تراني وتشعر بي..لكني ما ألبث أشكك فيها وألقيها في مهملات الظنون...اليوم رأيتها منتحية بأوراقها جانباً تكتب..تمنيت أن أطل على أوراقها وأن أنفذ إلى حروفها لأعرف فيم تفكر..لكني خفت الاقتراب ..كأن شـيئاً خفيـاً يمنعني عن الدخول إلى عالمها..راقبتها حتى انتـهت..طـوت الأوراق وذهبت تدور في حلقاتها المفرغة التي تنفصل فيها عن كل شيء إلا روتينها اليومي...أحياناً أشعر أنها تترك عقلـها تحت وسادتها قبل أن تستسلم لجرار حياتها وتتركه يحملها من مكان إلى مكان..وأحياناً أخرى أراها فقدت القدرة علـى أي مقاومة لميكانيكية عمرهـا..فقـط لـو تتـرك لي فرصـة أناقشها..أحاورها..ربما استطعت أن أساعدها..لكن ترفعهـا

المقصود أو غير المقصود يبني بيننا حواجز غير مرئية لا أستطيع عبورها...

نظرت إلى أوراقها المطوية...راودت هي فضولي لأقتحم محتواها..ترددت أصابعي وهي تقترب شيئاً فشيئاً منها..قبضت عليها..فتحتها...ياللهول..هذه الخبيثة..لم أكن أعرف أنها تسكن الدهاء...إنها طيلة الوقت ترقبني..تكتبني..تنقل حتى أخفى اختلاجاتي وتنثرها على الورق...غلى الدم في عروقي..شعرت بالغضب يلتهمني قطعة قطعة ويبتلعني داخله لأتحول إلى قنبلة موقوتة تبحث عن تلك العابثة لتنفجر في وجهها...سمعت خطواتها تلهث فوق الأرض لتلحق بأوراقها..كانت يداي ترتعشان من سورة الغضب سأنفجر فيها حالما تقف أمامي..لكنها ما أن وصلت حتى اختطفت الأوراق من بين أصابعي دون أن تنظر إليّ..زلزلت مكتبها وهي تبحث عن قلمها..أخيراً وجدته...التقطته بسرعة البرق...فتحت الأوراق بلهفة..قوة مغناطيسية هائلة تجذب القلم إلى الورق..وتسحبني...تسحبني.. حتى آخر نقطة في مدادها.....

فراغات



فارغة هي من كل مايشغلها..لا تعرف كيف اتسع الفراغ داخلها إلى هذا الحد..تحاول أن تتجول في أنحائهـــا لتخـــرج بفكرة أو صورة باهتة لذكرى فلا تجد..هل توقف عقلـــها؟؟لم تعهده هكذا من قبل وهو الذى لايكف عن النـــبض..نعـــم النبض.. لايكف عن العمل ولا يمل من مد يديـــه فى أحشـــاء الماضي و إلى عيون الحاضـــر و بـــين صـــفحات المســـتقبل البيضاء..يرتحل من هنا إلى هناك في طرفة عين ثم يعود أدراجه محملاً بما تمليه عليه حالته المزاجية..ولهذا فقد أعفى القلب مـــن مهامه ويقوم بضخ المداد إلى أجزائها المرئية واللا مرئية.. اليوم هو مختلف..شلل ما يسيطر عليه فيستسلم لـــه دون مقاومـــة تذكر..محاولات محتضرة لتشغيل محركه الذى لم يتعود السكون حتى فى قلب الحلم أسلمت الروح دون أن توصي..

قررت الخروج من الفراغ مع ســـبق الإصـــرار..أســـلمت أصابعها للوحة المفـــاتيح دون أن تشـــترط أو تملـــي عليهـــا ماتقول..اندفعت الأصابع تشي لشاشة حاسوبها بكل مايـــدور

فى الرأس المواجه لها دون تفكير..فاجأهـا صـورة حبيبـها ..توقفت قليلاً تسترجع ماتفعله بـه..لمـاذا تعذبـه وهـي تحبه؟؟؟ماذنبه هو في تقلبها الذى لاينتهي..اليوم خيرهـا بـين المكث معه وبين الحرف ..حاولت استرضاءه وهـي متعلقـة بأذيال حرفها فلم تفلح...أغلق بابه دونها وتركها غارقـة فى تيهها.. بينما فر منها الذى أغضبت حبيبها من أجله مخلفاً إياها تسبح فى أمواج الخرس...

(الكتابة لا تأتي بقرار)

كلماتها ترن فى أذنيها وتتخبط بين جدرانها الأربع لتعود إلى رأسها المتعب..نعم الكتابة لا تأتي بقرار لكـن الحـب يـأتي باختيار..وعليها أن تمد أنامل تأملها إلى صندوق السحب على سعادتها وتأخذ ورقة جـاهزة مكتـوب عليهـا مايجـب أن تفعله..أرهقها التفكير..ليس أمامها إلا حل أخير...صـرخت تنادي حبيبها ..خرج من سجنه الاختيارى..نظر إليها بعيـون بـاردة تعـودت أن تصـفعها كلمـا ضـيقت عليهـا الحياة...استدعت حروفها من كل مكان تناثرت فيه..وضعت صك ملكيتها بينهما وطلبت من الأحق بها منهما أن يأخذه.. أخبرتهما أنها ستغمض عينيها لدقيقة وعندما تفتحها يجـب أن يكون أحدهما قد اختفى..أغلقت جفونها ..انفصلت عن الدنيا ولما فتحتهما... لم تجد أحداً..

إضراب



التصقت بفراشي أثناء محاولات أمي المستميتة لإيقـــاظي في موعد عملي ..بعثرت حروفاً متآكلة لم تستفق بعد ..لم تفلح مجاهداتها المسكينة في فتح أجفاني إلا عندما أحضرت ذلك المنبه الضخم المستدير وأطلقت صرخات أجراسه المجنونة والمسعورة على آخر أمل لي فى استكمال نومي الذي أعشق..هببت مـــن بين أكوام الأغطية وجلست في وسط الفراش واضعاً يدي على خدي...(لماذا توقظينني يا أمي؟؟) خرج السؤال من بين شفتي مبللاً بدمعي المقهور .. ألقت بي أمي في شباك نظرة تعجـــب وعلامة استفهام كبيرة رسمتهما على وجههـــا فـــاليوم لـــيس بإجازة ..والوظيفة التي فزت بها أخيراً بعد أن دفعت فيها كل مصوغاتها وجل مافي البنك من مدخرات لاتحتمل تلاعبات قد تودي بها وأنا مازلت فى شهور تعيـــيني الأولى....قـــررت أن أنقذها وأنقذني من وقفتها المشدوهة وهـــي تنظـــر إلى عـــيني المتورمتين المصرتين على الانغلاق ..بالكاد استطعت أن أوسع مكاناً لحروفي بين سيل لومها الصامت المنهال علـــى رأســـي

لأخبرها أن اليوم إضراب عام ..صرخت من أعماقها كأنها تحملني لمثواي الأخير : (مالنا نحن والإضرابات..مالنا نحن والسياسة...سأحضر عمك فلان وخالك علان ليعيدوا عقلك إلى رأسك...)

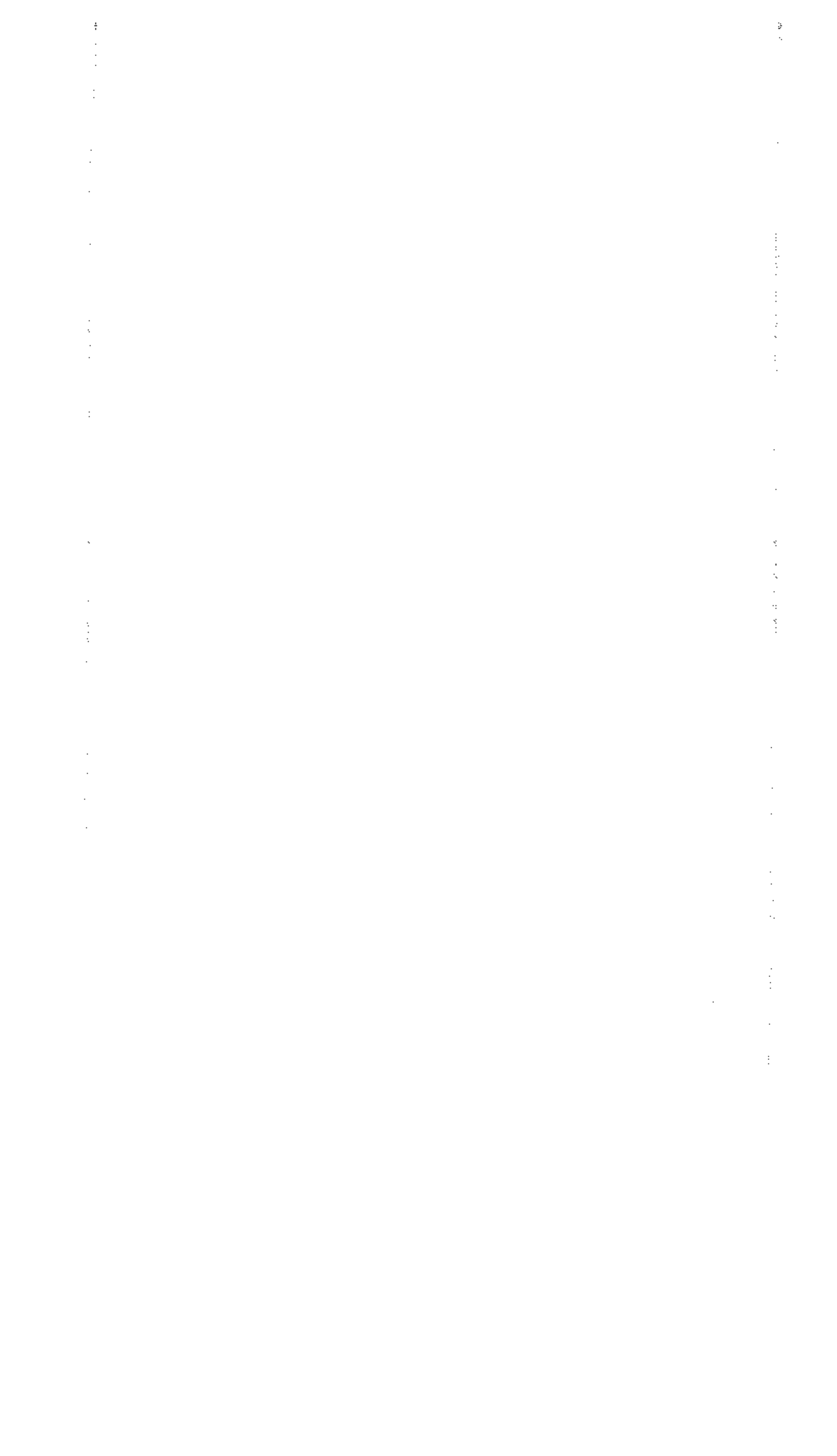
ضاع نصف النهار وأنا أحاول أن اشرح لها أن عدم خروجي ليس مشاركة فى الإضراب لكنه فقط خوفاً من الشرطة المنتشرة فى الشوارع والعنف المتوقع حدوثه في مثل هذه الظروف..لكن هيهات.. لم يستطع غضبها الخائف استقبال المعلومة ولا نجحت أنا فى استكمال نومي..كان الرعب قد تملكها و لم تعد هناك فائدة من أى كلمات..ارتديت ملابسي هرباً من قفص اقامها ونزلت في محاولة أخيرة لاسترضائها..طرقت باب جارى وزميل دراستي..أعرف أنه لابد يستمتع بأحلامه حتى الآن فهو لم يجد عملاً بعد..لأول مرة أحسده على ماهو فيه..لن يشك فيه أحد ولن يوقظه أحد ..مددت إصبعى وضغطت الجرس شامتاً في نومه الذى سأبدده مثلما فعلت بي أمي.. ضغطت الجرس مراراً بعصبية لكنه لم يفتح..أين أذهب الآن؟؟.....آه لو من الممكن أن أكسر هذا الباب وأخرجه من بين أحلامه ..؟؟؟..تملكني اليأس..ليس أمامي إلا الشارع إذن..فموعد العمل مرّ ولايمكنني الذهاب

إليه الآن..تلفت يمنة ويسرة..ليس هذا منظر شارعنا فى هـــذا الوقت من النهار..عساكر أمـــن مركـــزي ينتـــشرون هنـــا وهناك..وجوه أخرى لاتمت للأمن بصلة تدور بـــلا هـــدف ..أتتبـــع بطـــرف خفـــي مايحـــدث حـــولى..لمـــاذا كـــل هذا؟؟؟..أحسست بكتفي يهتز بلا مبالاة..نظرت في عيون من حولي خوفـــاً مـــن أن يكـــون أحـــدهم قـــد لمحـــنى وأنـــا أكلمنى....تجمعات بدأت تلوح ..فتيات ..شباب..يحملـــون لافتات عليها كلمات غاضبة..قيدت عيني فى الأرض التى أسير عليهـــا ....تحلـــق بعـــض العـــساكر حـــول تجمـــع مـــن التجمعات..ساقوهم مرغمين إلى شاحنة كئيبة وأغلقوا بابهـــا عليهم ..تعالت أصواتهم..أسرعت الخطى..أدركنى عـــسكري أمن مركزي جذبنى من قميصي..صرخت فيه بـــأنى لـــيس لي علاقة بما يحدث..سبني..ضربني وهو يفتح فم الوحش الـــذي ابتلع أمثالي..ألقي بي داخله وأغلق الباب..انهمرت دموعي مع ارتجاف كل جزء في جسدي..تقوقعت في ركن مـــن أركـــان الزنزانة المتنقلة..سألني من بالسيارة عني..عـــن انتمـــاءاتي..لم أجب..صحت فيهم ليبتعدوا عني..ليت أمي لم توقظني..قلـــت لها لا أريد النزول إلى الشارع..سأفقد كل شيء..لا..لن أفقد شيئاً..سأقول للمحققين الحقيقة..سأنفذ كل تعليماتهم بدقـــة مطيعة وحتمـــاً ســـيصدقوني...وصـــلنا..أخرجونـــا مـــن

السيارة..قذفونا في الحجز بعد تفتيش سريع...لأول مرة أدخل هذه الأماكن..يبدو أن بعض ممن معي مثلي مـــن الـــضيوف الجدد..سددت أذني عن حديثهم..بعـــضهم ثـــائر..بعـــضهم صامت...ماهذا ؟أحدهم يتكلم فى محمول...كيف أدخلـــه إلى هنا...لم أفكر كثيراً..اقتربت منه..سألته بهدوء أن يدعني أكلم أهلـــى..ابتـــسم وتعجلـــني..كلمـــت عمـــي..أجـــرى اتصالاته..وأخرجني بعد ساعات بعد أن تأكدوا أني لا أنتمـــي لأيـــة حركـــات أو تنظيمـــات...لم أصـــدق أنى عائـــد إلى البيت..حين دخلت..ارتفع صوت أمـــي بـــاللوم ثانيـــة...لم أرد...دخلت إلى غرفتي...بحثت عن ورقة..كتبت عليها بخـــط عريض: إضرااااااااااااااااب....

علقتها على الباب وأغلقته من الداخل..دفنت نفسي تحت الأغطية..

من وراء النافذة



لم أعد أطيق الانتظار..جفناي مستقلان بأحـداث اليـوم والأمس التي طوت صفحة زمنها و لم تطق قوة وقعها في قلـبي وعقلي...جسدي كله فقد الثقة فى قدمين من ملل لم تعـودا قادرتين على حمل سنيني الطويلة الهموم...استسلمت للواقـع ..لابد من المواصلة طالما هناك أنفاس مرغمة على الدخول إلى صدرى والفرار منه..حين قذفت رأسـي للوسـادة احتـواني سكونها...أين ذهب الشوك الذى عذبني ليلة أمس و لم يترك لى الفرصة وأنا في رحلاتي المكوكية بين الصحو والنوم للتعرف إلى الراحة..احتضنني الحلم..دخلته على استحياء دون أن أطـرق بابه فـتعبي لم يسـمح لي بـأي تريـث قبـل أن يـدفعني داخله...وجدت مقعد الواقع يتوسط أرض الأحلام فألقيـت بنفسي عليه كأنه من أهلي...وجدتني أنتظر من جديد..طـال الانتظار..أحسست بالإنهاك..تعلقت عيني بباب النوم...أأندفع

نحوه وأفتحه لأخرج من هذا المكان أم أستمر في ربـــط يـــدي بخدي حتى أفرغ مخزون الأمـــل فـــأنفض استســـلامي لهـــذا العالم...أحسست أن الوقت يأخذني بلا طائل..تحاملت مـــرة أخرى على قدميّ وقمت أفتح الباب لأخرج...هتف بي صوت أعرفه :قادم إليك...لكأنما اجتذبتني قبضته الحريرية من عمـــق اليأس إلى أول درجة فى سلم الأمل...ترددت عيناى بين المقعد والباب..خفت حماسي المقاوم للمكث في الحلـــم..لكنـــه لم يمت...شرفة زجاجية دعتني لحل وســـط..أســـرعت إليهـــا ..أزحت ستائرها الحاجبة وأطللت بكلي على الواقع...لمحتـــه هناك ..ظلي الجالس على نفس المقعد...مترقباً عودتي ليسكنني بعد أن أفقده الانتظار وعيه...وأوقفه على بوابة الجنون...لماذا أعود إذن وهو يترصدني؟؟

غافلني صوتي وخرج هارباً من أحبالي الصوتية الخرساء..لم تجرؤ إجابة على احتضان سؤالي...

فقط رجع صدى آت من وراء زجاج النافذة...

سوبر ماركت



أخرجت قائمة الطلبات من حقيبتى..فتحتــها...تنــاثرت وريقاهّا المتشابكة على الأرض..انحنيت ألملمها..حين رفعــت رأسي واجهتني فوهة نظرة حادة أطلــق رصاصــها زوجــي لتصيب قائمتي في مقتل..أدركت أني سأدخل معترك النقــاش التسوقي بعد ثوان..فررت من عينيه وانطلقت بــين الأرفــف أختبيء بينها وأقتنص ما ثقل حمله وخف ثمنه...أولادي يتبعونني كظلي هاربين بأحلام الاقتناء التي يرتبون لها ستة أيام كاملــة من كل أسبوع لتنهار بعضها على صخرة الواقــع..وتــنجح أخرى فى الوصول إلى مرمى الحقيقة بعد شد وجذب روتــيني يحفظونه عن ظهر قلب...بجانب الممر الذى كنــت أخوضــه وقفت لوحة متوسطة باهتة الألوان على استحياء ...ألقيــت يدي داخل حقيبتى أتحسس نظارتى الطبية لأقرأ اللوحة ..ربمــا يكون هناك عرضاً يخفيه السوبر ماركت ولايريــد لكــثيرين الاستفادة منه..أجلست النظاره فوق أنفي فى مواجهــة عــيني واقتربت من اللوحة ..قرأت:

(قاطعوا البضائع الأمريكية)

تجمع حولي أبنائي يسألونني ..يتضاحكون من جنون صاحب المكان..ويصفونه بالحمق لأنه لايريد أن يبيع...لم أستطع النظر في عيونهم ..تساقطت صور القتلى والجرحى فوق خريطة قلبي الممزقة...تبعثرت الحروف من فمي وأنا أحاول ترتيبها فوق أرفف ذاكرتي المتهاوية فوق شراييني..أحسست بها تخلعني ..تلقي بي في أقرب سلة مهملات..تساقطت دموعي..أسرعت بخطواتي نحو الباب وسط تعجب أبنائي..لملموا القائمة الممزقة على أرض نزهتهم..لحق زوجي ..أسرع قلقه ورائي ..أدركني..حاولت أن أشرح له لكن نحيبي قيد لساني وأفلت لجام التماسك من يده..نظر إلي بحنان مسح دموعي ..ربت على خدي المبتل معتذراً عن حدته..نثر أبناءه في أنحاء السوبر ماركت ..وضعوا الأرفف كلها في سلة التسوق غلفوها بضحكات الفوز..وانطلقوا بها إلى حقيبة السيارة..

همس أصغرهم في أذني: (ليتك تبكين كل مرة يا أمي)...

حريات خالية



مالي أتنقل من قفص إلى قفص..؟؟؟أجننت؟؟؟تخيلـــت أني سأرفرف بجناحيّ في فضاء الحب حين ارتبطت بها ..خـــدعني الشوق إليها ونبضها يطرق أبواب مشاعري ..بشرتني بحـــريتي الـــتي ســـتحملني بعيـــداً عـــن قضـــبان قفـــص الربـــاط المقدس..رقتها..عقلها...ضعفها القوي جذبوني إلى عالم مـــن ألوان الطيف أتنقل فيـــه كيفمـــا شـــئت.. أتنســـم عـــبير الألوان..أتجدد...كنت في حاجة إليها.. للانـــدماج بروحهـــا وعقلها معاً..لكنها ...تغيرت أو ربما.. أنا الذى تغير.. بمـــرور الأيام وجدتني خلف قضبان جديدة بلا مبرر...لا أعرف لمـــاذا انطفأ شوقي..تغيرت ملامح كيوبيد القصة لتتحول إلى أخرى شيطانية تقض مضجعي كلما أعلن جوالي عن صوتها القادم إلي عبر الأثير أو أحسست أني سأقابلها هنا أو هنـــاك..شـــحوبها المتزايد ونضوب بريقها يستفزني أكثر ممـــا يســـتثير عطفـــي عليها..لم أعد أفهمها..ولا أريد..حبستني دون قصـــد بـــين طوفان الحب الذي تصر على تفجيره داخلي وبين الاعتذارات التي لاتنتـــهي عـــن الضـــغوط الـــتي تمارســـها علـــي..أف

للنساء...أحاول التخلص منها بهدوء..أمقت القضبان....أشعر بها تفهم مايحدث داخلي ولاتصدق فتخنقني بأسئلتها المملة...لماذا لاتصدق..؟؟أوصلت إليها شعوري بكل الطرق..ابتعدت..نفرت..كلمتها بشيء من حدة تصل إليها دون أن تسيء إلى إنسانيتها..لكنها لاتكف عن محاولة الاقتراب والبحث في سطور نفسي..محوت من ذاكرتي كل ماتحاول قراءته كي لاتتسلل في غفلة مني وتقتنصه..لم تهدأ..لو فقط تتركني بعض الوقت ..ربما عدت إليها ثانية..أو..

..جرس الباب يدق..زوجتي وأولادي..أغرق في دوامتهم مع سبق الإصرار ..يدق جوالي..ألمح رقمها..أخرجه من نطاق الخدمة ...أفر إلى الجريدة..أزاحم الإعلانات والسطور بحثاً عن حرية خالية..

الفهرس

